الأمانة العامة
للعتبة الحسينية المقدسة

توزع مجاناً

الوارث ١٣

شعبان ١٤٣٢ هـ
تموز ٢٠١١م
نشرة شهرية دينية ثقافية تصدر عن
شعبة الدراسات والبحوث الإسلامية
في العتبة الحسينية المقدسة

بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين

بسم الله الرحمن الرحيم

٢ قطوف دانية من السيرة الحسينية
خروج الإمام الحسين عليه السلام من المدينة

٤ في رحاب علوم القرآن
معرفة الله / الحلقة الثانية

٦ على ضفاف نهج البلاغة
أسانيد خطب وكلمات نهج البلاغة

٨ مدارات فكرية في مدرسة العترة النبوية
مشروعية الاستخارة وأنها ليست من الاستقسام بالأزلام

١٠ أخلاقك هويتك
التعلم والتعليم

١٢ مباحث عقائدية
شروط الإمام ومواصفاته بين الشيعة والسنة / الحلقة الرابعة

١٤ أعلام الشيعة
الشيخ الفضل بن الحسن الطبرسي العالم والمفسر الكبير

١٦ معاجز أهل البيت عليهم السلام وكراماتهم
الصفح عن فطرس كرامة لأبي عبدالله الحسين عليه السلام

١٧ في رحاب مدرسة الدعاء
شرح الصحيفة السجادية - الحلقة الثالثة

١٨ شؤون الأسرة
الطفل ومضايقة رفاقه

٢٠ عبرٌ من التاريخ
الفارس المنقذ

٢١ معارف عامة
الطاقة / الحلقة الأولى

الإشراف العام
الشيخ علي الفتلاوي

هيئة التحرير
السيد نبيل الحسني
الشيخ وسام البلداوي

التدقيق اللغوي
خالد جواد جاسم

التنضيد الألكتروني
محمد رزاق صالح

التصميم والإخراج الفني
السيد علي ماميثة
أحمد محسن المؤذن

إصدار
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
في العتبة الحسينية المقدسة
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق
وزارة الثقافة لسنة ٢٠٠٩ - ١٢١١

هاتف: ٣٢٦٤٩٩
بدالة: ٣٢١٧٧٦ - داخلي: ٢٤٢
موقع العتبة www.imamhussain.org
موقع القسم www.imamhussain-lib.org
بريد القسم Info@imamhussain-lib.org

إن من المناهج التي اعتمدها القرآن الكريم في اصلاح الانسان وبنائه بنية كمالية هو منهج التدبر والتفكر وذلك لما يحققه هذا المنهج من اثار بنيوية على النفس والاسرة والمجتمع.

ولذا :

فإن مما يدعو الى التوقف طويلا والتأمل كثيرا هو تلك الوصية التي بعث بها الإمام الحجة المهدي المنتظر (صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين) الى الشيخ العلم وناصر المذهب الشيخ المفيد (رضوان الله تعالى عليه)

جاء فيها عنه (عجل الله تعالى فرجه الشريف):

((نحن وان كنا ناوين بمكاننا النائي عن مساكن الظالمين، حسب الذي أراناه الله تعالى من الصلاح ولشيعتنا المؤمنين في ذلك ما دامت دولة الدنيا للفاسقين، فانا نحيط علما بأنبائكم، ولا يعزب عنا شيء من اخباركم، ومعرفتنا بالذل الذى اصابكم مذ جنحَ كثيرٌ منكم الى ما كان السلف الصالح عنه شاسعا، ونبذوا العهد المأخوذ وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون انا غير مهملين لمراعاتكم، ولا ناسين لذكركم، ولولا ذلك لنزل بكم اللأواء، أو اصطلمكم الاعداء فاتقوا الله جل جلاله وظاهرونا على انتياشكم من فتنة قد أنافت عليكم))[1]

فهل من متأمل....وآخر معتبر؟

ع / المشرف العام

السيد نبيل الحسني

---

(١) الاحتجاج للطبرسي: ج٢ ص٣٢٣.

خروج الإمام الحسين عليه السلام من المدينة

وخرج الحسين عليه السلام في ليلته هذه، وهي ليلة الأحد ليومين بقيا من رجب سنة ستين، ببنيه وأخوته وبني أخيه وجلّ أهل بيته إلا محمد بن الحنفية وهو يتلو هذه الآية:

«فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ»[1]

وفي رواية: خرج في جوف الليل يريد مكة بجميع أهله، وذلك لثلاث ليال مضين من شهر شعبان في سنة ستين.

فلزم الطريق الأعظم وقال له ابن عمه مسلم بن عقيل بن أبي طالب: يا ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لو عدلنا عن الطريق وسلكنا غير الجادة كما فعل عبد الله بن الزبير كان عندي الرأي، فإنا نخاف أن يلحقنا الطلب!

فقال له الحسين عليه السلام:

(لا والله يا ابن عمي! لا فارقت هذا الطريق ابدا أو أنظر إلى أبيات مكة أو يقضي الله في ذلك ما يحب ويرضى).

وقال المفيد إنه عليه السلام قال:

(لا والله لا أفارقه حتى يقضي الله ما هو قاض).

وفي رواية: لما خرج الحسين عليه السلام من المدينة وركب الجادة العظمى قال له أهل بيته: لو سلكت الطريق الأقرع لكان أصلح.

قال عليه السلام:

(أتخافون الطلب؟).

قالوا: أجل.

قال عليه السلام:

(أخاف أن أحيد الطريق حذر الموت).

وأنشأ يقول:

إذا المرءُ لا يَحْمي بَنيه وَعِرْضَهُ
وَعِتْرَتَه كانَ اللئيمَ المُسَبَّبا
وَمِنْ دونِ ما يَنْعى يَزيدُ بنا غَداً
نَخُوضُ بِحارَ المَوْتِ شَرْقاً وَمَغْرِباً
وَنَضْرِبُ ضرباً كَالحَريقِ مُقَدَّماً
إذا ما رَآهُ ضَيْغَمٌ فَرَّ مَهْرَبا

كلامه عليه السلام مع الملائكة والجنة

نقل المجلسي عن محمد بن أبي طالب أنّه قال: قال شيخنا المفيد بإسناده إلى أبي عبد الله عليه السلام: لمّا سار أبو عبد الله الحسين عليه السلام من المدينة لقيه أفواج من الملائكة المسوّمة في أيديهم الحراب على نجب من نجب الجنّة، فسلّموا عليه، وقالوا: يا حجّة الله على خلقه بعد جدّه وأبيه وأخيه، إنّ الله سبحانه أمدّ جدّك بنا في مواطن كثيرة، وإنّ الله أمدّك بنا. فقال عليه السلام:

(الموعدُ حُفْرَتي وبُقْعَتي التي أستَشْهِدُ فيها وهِيَ كَربَلا.. فإذا وَرَدْتُها فأتوني).

فقالوا: يا حجّة الله مرنا نسمع ونطع، فهل تخشى من عدوّ يلقاك فنكون معك؟

فقال عليه السلام:

(لا سَبيلَ لَهُمْ عَلَيَّ وَلا يَلْقَوني بِكَريهَةٍ أوْ أصِلَ إلى بُقْعَتي).

وأتته أفواج مسلمي الجنّ، فقالوا: يا سيّدنا نحن شيعتك وأنصارك فمرنا بأمرك وما تشاء، فلو أمرتنا بقتل كلّ عدوّ لك وأنت بمكانك لكفيناك ذلك، فجزاهم الحسين

يبقى بعدي مطلوباً من أهلي ونسبي وإخوتي وأهل بيتي، ويسار برأسي إلى يزيد لعنه الله).

فقالت الجنّ: نحن والله يا حبيب الله وابن حبيبه، لولا أنّ أمرك طاعة وأنّه لا يجوز لنا مخالفتك، قتلنا جميع أعدائك قبل أن يصلوا إليك.

فقال صلوات الله عليه لهم:

(نحن والله أقدر عليهم منكم ولكن:

«لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ».[4]

لقاؤه عليه السلام مع عبد الله العدوي

ثم سار إلى مكة إذا استقبله عبد الله بن مطيع العدوي، فقال: أين تريد أبا عبد الله جعلني الله فداك؟!

قال عليه السلام:

(أمّا في وقتي هذا أريد مكّة فإذا صرتُ إليها استخرتُ الله تعالى في أمري بعد ذلك).

فقال له عبد الله بن مطيع: خار الله لك يا ابن بنت رسول الله فيما قد عزمت عليه، غير أني أشير عليك بمشورة فاقبلها مني.

فقال له الحسين عليه السلام:

(وما هي يا ابن مُطيع؟).

قال: إذا أتيت مكة فاحذر أن يغرك أهل الكوفة، فيها قُتل أبوك، وأخوك بطعنة طعنوه كادت أن تأتي على نفسه، فالزم الحرم فأنت سيد العرب في دهرك هذا، فو الله لئن هلكت ليهلكن أهل بيتك بهلاكك والسلام.

وروى الدينوري: أن الإمام عليه السلام قال لابن مطيع:

(يقضي الله ما أحب).

وقال الطبري: إنه عليه السلام قال:

«أما الآن فمكة وأما بعد فإني أستخير الله».

وقال ابن عساكر: قرأتُ على أبي غالب ابن البناء عن أبي محمد الجوهري، أنبأنا أبو عمر بن حيويه، أنبأنا أحمد بن معروف، أنبأنا الحسين بن الفهم، أنبأنا محمد بن سعد، أنبأنا محمد بن عمر، حدّثني عبدالله بن جعفر، عن أبي عون، قال:

لما خرج الحسين بن علي عليهما السلام من المدينة يريد مكة، مرّ بابن مطيع وهو يحفر بئره فقال له: أين فداك أبي وأمي؟

قال: «أردتُ مكة».

قال: وذكر له أنه كتب إليه شيعته بها، فقال له ابن مطيع: أين فداك أبي وأمي؟ متّعنا بنفسك ولا تسر إليهم!! فأبى حسين عليه السلام، فقال له ابن مطيع: إنّ بئري هذه قد رشحتها وهذا اليوم أوان ما خرج إلينا في الدلو شيء من ماء، فلو دعوت الله لنا فيها بالبركة. قال:

«هات من مائها».

فأتى من مائها في الدلو، فشرب منه ثم تمضمض ثم ردّه في البئر، فأعذب وأمهى، ثم ودّع وسار إلى مكة.

لقاؤه مع ابن عمر وابن عباس

وقيل إنّ ابن عمر كان هو وابن عباس بمكة فعادا إلى المدينة، فلقيهما (الحسين عليه السلام وابن الزبير)، فسألاهما:

(ما وَراءَكُما؟).

فقالا: موت معاوية وبيعة يزيد.

وقال له ابن عياش: أين تريد يا ابن فاطمة؟ قال:

(العراقَ وشيعتي).

فقال: إني لكاره لوجهك هذا أتخرج إلى قوم قتلوا أباك وطعنوا أخاك؟! حتى تركهم سخطة وملّة لهم!!! اذكرك الله أن تغرر بنفسك.

ثم ودّعهم وساروا حتى وصلوا إلى مكة[5].

عليه السلام خيراً، وقال عليه السلام:

«أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ».[2]

وقال سبحانه وتعالى:

«لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ».[3]

(وإذا أقمتُ بمكاني فبماذا يُبتلى هذا الخَلْقُ المُتعوَّس؟ وبماذا يُختَبرون؟ ومَن ذا يكون ساكنَ حُفْرَتي بكربلاء؟ وقد اختارها الله تعالى يوم دحا الأرض، وجعلها معقلاً لشيعتنا، ويكون لهم أماناً في الدنيا والآخرة ولكن تحضرون يوم السبت، وهو يوم عاشوراء الذي في آخره أقتل ولا

.....

(١) سورة القصص، الآية: ٢١.
(٢) سورة النساء، الآية: ٧٨.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٥٤.
(٤) سورة الأنفال، الآية: ٤٢.
(٥) موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام: ص٢٩٩ - ٣٠٤.

معرفة الله

الحلقة الثانية

أوردنا في الحلقة السابقة الاحتمالات حول مصداق كلمة (شيء) في الآية المباركة:

﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾.[1]

لكنه يوجد احتمالان آخران حول مصداق (شيء) الوارد في الآية: أحدهما أنّ المقصود من (شيء) هو المادة القَبْليّة، فيصبح معنى الآية: أم خلقوا من دون مادّة قَبْليّة؟

أما الاحتمال الثاني هو أن يكون المراد من (شيء) هو الهدف والغاية، وعليه يصبح معنى الآية: أم خلقوا من دون هدف؟

والظاهر أن هذين الاحتمالين لا ينسجمان مع ذيل الآية، فقولنا: (أم خلقوا من دون مادة قبليّة أو من دون هدف) لا يناسبه أن نسأل بعده، (أم هم الخالقون)، وإنّما ينسجم الذيل مع الصدر إذا قلنا (أم خلقوا من دون خالق أم هم الخالقون لأنفسهم).

أمّا لماذا لم يقل (أليس لهم خالق أم هم الخالقون) فلعلّ المقصود هو التأكيد على صيغة (خلقوا) ليكون بطلان الفرضين أوضح.

وعلى هذا فإذا رأينا القرآن الكريم لا يطرح مسألة وجود الله بصورة مسألة مستقلة، ولم يحاول الاستدلال عليها بشكل مباشر، فليس معنى ذلك أنه لم يشر بصورة غير مباشرة إلى دليل ذلك، أو أنّه لا يمكن استخراج مقدمات الاستدلال من المواضيع القرآنية.

والملاحظة التي يجب الالتفات إليها هي أنّ البراهين العقلية ـ سواء أكانت في القرآن أم في دراسات الفلاسفة والمتكلمين ـ تثبت وجود الله بوساطة المفاهيم الذهنية، ونحصل نتيجة لذلك على معرفة حصولية وكلّية: مثلاً برهان الحركة يثبت وجود (محرك) للعالم، وبرهان النظام يثبت وجود الله بعنوان أنه (المنظم للعالم)، وبراهين أخرى تثبت لنا وجوده جلّ وعلا بعنوان أنه (الخالق) أو (الصانع) أو (واجب الوجود) أو (الكامل المطلق).

ثم براهين التوحيد هي التي تثبت أنّ هذه (العناوين الكلّية) ليس لها سوى (مصداق واحد)، أي أنّ (الله واحد).

وبراهين الصفات تثبت له الصفات الكمالية وتنفي عنه صفات النقص، وحصيلة هذه جميعاً أنّ هناك موجوداً يتمتّع بالعلم والقدرة والحياة، وليس له زمان ولا مكان، ولا يتصف بأية صفة محدودة، وهو الخالق للعالم وللإنسان، وهذه معرفة بعنوان كلّي ولكنه منحصر في فرد واحد، وهي معرفة غيابية حيث نقول (هناك موجود) أو (وهو).[2]

ويطرح أمامنا في هذا المجال سؤال يقول:

هل للقرآن حديث حول المعرفة الشهودية والشخصية بالنسبة لله سبحانه وتعالى أم لا؟

لعلنا نستطيع الجواب عليه بالإيجاب من خلال استعراضنا لآية الفطرة وآية الميثاق.

معرفة الله الفطرية

قبل الدخول في صميم البحث حول آيتي الفطرة والميثاق نرى من الأفضل أن نتناول بالتوضيح كلمة (الفطرة):

تترجم هذه الكلمة في اللغة الفارسية إلى (سرشت)، وهي (مصدر نوعي) تدل على نوع الخلقة، ولكنها تستعمل عادة في مورد الإنسان، فيقال لشيء ما إنه (فطري) إذا كان يقتضيه نوع خلقة الإنسان، وهو منحة الله وغير اكتسابي، ومشترك إلى حدّ ما بين جميع أفراد الإنسان، ولهذا فهو يشمل جميع الرؤى والاتّجاهات الممنوحة للإنسان من الله.

ولهذه الكلمة (الفطري) اصطلاحات متعددة في المنطق والفلسفة، ولكن الذي يناسب ما نحن فيه ثلاثة اصطلاحات:

١ ـ إن (البحث عن الله) من (الرغبات الفطرية) للإنسان، والشاهد على ذلك أن أفراد الإنسان على طول مرّ التاريخ وعلى الرغم من اختلافهم في القومية والثقافة والجغرافيا كانوا باحثين عن الله، وكانت البشرية دائماً تتمتع بلون من الدين والإيمان بربّ خالق للكون.

٢ ـ إنّ (معرفة الله) (معرفة فطرية)، والمقصود من قولنا: (معرفة الله فطرية) أنها أحد لونين من المعرفة: إمّا الحصولية وإما الحضورية:

أ: فمعنى المعرفة الفطرية الحصولية لله هو أنّ العقل الإنساني ليس بحاجة إلى بذل الجهد للتصديق بوجود الله سبحانه، بل هو يدرك بسهولة أن وجود الإنسان وجميع ظواهر

العالم (محتاجة) إلى (خالق غير محتاج)

يرفع حاجتهم الوجودية.

ب: ومعنى المعرفة الفطرية الحضورية هو أن لقلب الإنسان ارتباطاً عميقاً بخالقه، وعندما يغور الإنسان إلى أعماق قلبه فإنه يجد مثل هذا الارتباط، ولكنّ أكثر الناس لا يلتفتون إلى هذه العلاقة القلبية، ولاسيّما أثناء الحياة الاعتيادية حيث يكون الناس غارقين في أمور دنياهم، ولكنهم يستطيعون الانتباه إلى وجود هذه العلاقة القلبية وذلك عندما يصرفون اهتمامهم عن كل شيء عداها، ويقطعون أملهم بكل الأسباب.

٣ ـ إنّ (عبادة الله) (رغبة فطرية)، والإنسان بحسب فطرته طالب لعبادة الله والخضوع والتسليم له.

ومن الواضح أن (الفطري) بالاصطلاح الأول والثالث هو لون من (الرغبة والاتجاه الباطني) ولا علاقة له بـ(المعرفة) بصورة مباشرة، ولكنه بالمعنى الثاني هو لون من (المعرفة): إمّا المعرفة الحصولية العقلية وإمّا المعرفة الحضورية الشهودية، فالمعرفة العقلية تحصل في الواقع عن طريق الدليل والبرهان، وأقصى ما في الأمر أنه لمّا كان دليلها واضحاً جداً فهي تسمى (فطرية).

وأما المعرفة الفطرية الحضورية فهي تلك المعرفة التي نحن بصدد بيانها الآن، ونتناول أولاً آية الفطرة، ثم نعقبها بآية الميثاق:

آية الفطرة

يقول الله تعالى في القرآن الكريم:

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٣]

في هذه الآية نواجه أولاً الأمر بالاهتمام الشديد بـ(الدّين) ثم نشير إلى أنّ هذا الشيء أمر يوافق الطبيعة التي فطر الله الناس عليها، وتتميز هذه الفطرة بأنها ليست قابلة للتغيير ولا للتبديل، ويضاف إليه أنّ هذا هو الدين القيم، وفي الختام تذكر الآية بأن أكثر الناس غافلون عن هذا الموضوع.

ويقع الخلاف في أن هذا (الأمر الفطري) ما هو؟

أهو معرفة الله أم عبادته أم شيء آخر؟

إذا كان المقصود من هذا (الأمر الفطري) هو المعرفة الحضورية القلبية اللاشعورية فهو ينطبق على ذلك الموضوع الذي أشرنا إليه فيما سبق وتؤيّده تلك الروايات[٤] الواردة، ويغدو مفاد هذه الآية نفس مفاد آية الميثاق التي سوف يأتي توضيحها.

وأما إذا كان المقصود منه هو (المعرفة العقلية) فلا يكون لها عندئذٍ ارتباط وثيق بهذا البحث، ولكنّ هذا الاحتمال ليس في أيدينا ما يؤيّده.

ويذكر لهذه الآية الشريفة تفسيران آخران: أحدهما أنّ المقصود منها هو كون كلّيات عقائد الدين وأحكامه ـ من قبيل التوحيد وعبادة الله وصلة المحرومين وإقامة العدل والقسط في المجتمع والمواضيع الأساسية الأخرى في الإسلام ـ موافقة لفطرة الناس، ومنسجمة مع رغباتهم وتصوراتهم ودوافعهم الإنسانية، وحسب هذا التفسير تكون معرفة الله وعبادته جزءاً من الفطرة المذكورة في الآية الكريمة.

وهناك تفسير آخر قريب من هذا التفسير يقول: إنّ حقيقة الدين عبارة عن التسليم والخضوع أمام الخالق جلّ وعلا، ويتجلّى هذا التسليم في أشكال مختلفة من العبادات والطاعات والأوامر والقوانين الإلهية، كما يدلّ عليه لفظ (الإسلام):

﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾[٥]

والمقصود من قولنا: (الدين فطري)، هو أن (الاندفاع) إلى عبادة الله والخضوع أمامه أمر له جذور عميقة في فطرة الإنسان، وكلّ إنسان بفطرته يحب التعلّق والتقرّب إلى (الكامل المطلق)، والعبادات المنحرفة والممزوجة بالشرك قد جاءت نتيجة للتلقينات الخاطئة والتربية السيئة، أو نتيجة للجهل والخطأ في التطبيق: (كل مولود يولد على الفطرة....).

وحسب هذا التفسير لا تكون هذه الآية الكريمة ناظرة إلى (معرفة الله) بصورة مباشرة، ولكنه يمكن القول بأنه إذا كانت (عبادة الله) فطرية فيلزم من ذلك وجود لون من المعرفة الفطرية بالنسبة إلى الله تعالى، لأنّه لابدّ أن يعرف الإنسان ربّه حتى يعبده، وعندما يكون الاتّجاه إلى عبادة الله أمراً فطرياً فإنّ معرفته لله تعالى ستكون فطرية لا محالة. وبدرجة أشد وأولى لأنها سابقة على العبادة الفطرية.

وروي في الكافي عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال في تفسير هذه الآية الشريفة:

(فطرهم على المعرفة به).[٦][٧]

.....

(١) سورة الطور، الآية: ٣٥.
(٢) يحسن التعمق في الرواية التي نقلناها عن تحف العقول في ص٢٢ (... ومعرفة صفة الغائب قبل عينه).
(٣) سورة الروم، الآية: ٣٠.
(٤) الكافي: ج٢، ص١٢.
(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٩.
(٦) الكافي: ج٢، ص١٣.
(٧) معارف القرآن للأستاذ محمد تقي المصباح: ص٢٨ ـ ٣٢.

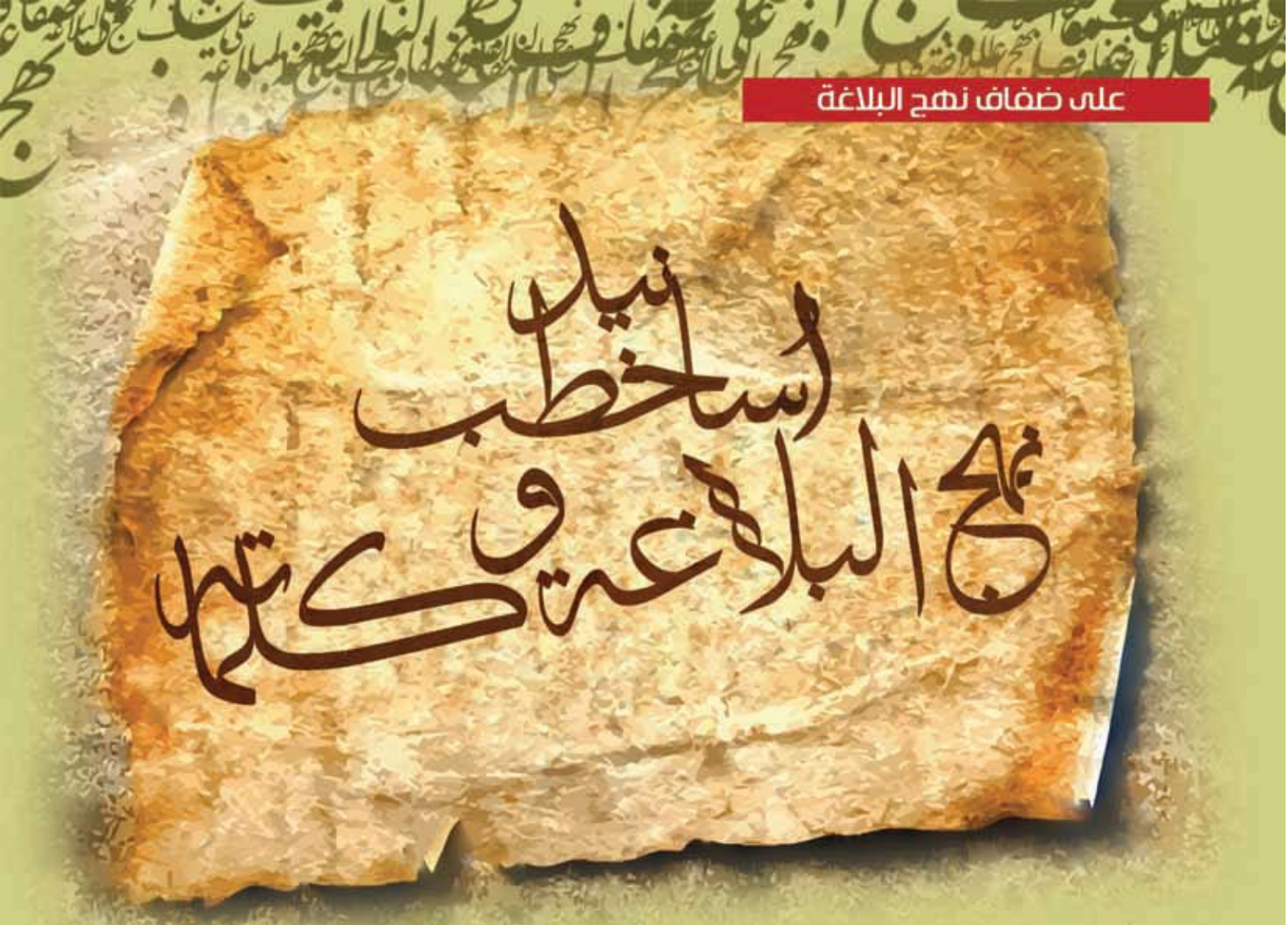

سبب تأكيد البعض على الطعن في أسانيد نهج البلاغة

ما من شك في أنّ خطب ورسائل نهج البلاغة وكلماته القصار وردت (على ضوء جمعها من قبل المرحوم السيد الرضي) على نحو الروايات المرسلة؛ أي لم تذكر أسانيدها بما يجعلها متصلة بالمعصومين، وقد أدى هذا بدوره إلى تشكيك البعض أحياناً، ولا سيما بالنسبة لأولئك الذين ظنوا بأن نهج البلاغة وبفضل مضامينه العظيمة قد يكون سنداً لإثبات حقانية مذهب الشيعة وأفضلية الإمام علي(عليه السلام) على جميع الصحابة؛ فاتخذوا ذلك ذريعة لفرض طوق من العزلة على هذا الكتاب في أوساط الرأي العام الإسلامي. وإن كانت هذه الزوبعة ـ ولحسن الحظ ـ لم يكن لها أدنى تأثير في أفكار علماء وأدباء الفريقين الذين كسروا حاجز الصمت وكالوا له المديح والثناء وخاضوا في شرحه وتفسيره، ولكن مع ذلك نرى من الضروري الخوض في قضية إسناد النهج بغية إزالة الشك وإماطة اللثام عن حقيقة هذا الكتاب.

تقسيم الخطب إلى ما يحتاج إلى إسناد والى ما هو غني عنه

وهنا لابدّ من الالتفات إلى أمرين:

الأمر الأول: أنّ أغلب خطب نهج البلاغة ورسائله وكلماته القصار ـ إذا لم نقل جميعها سوى معشاره ـ إنّما هي من قبيل المطالب المستدلة المبرهنة أو ذات الاستدلال المنطقي، وبعبارة أخرى هي من قبيل «القضايا التي قياساتها معها».

وعليه فهي ليست بحاجة إلى سلسلة السند بصفتها مباحث تعبدية، فالأعم الأغلب من المضامين وردت بشأن المعارف العقائدية من قبيل: المبدأ والمعاد والصفات وأدلة عظمة القرآن ونبي الإسلام(صلى الله عليه وآله) وما شاكل ذلك. كما وردت بعض المضامين كمواعظ ونصائح ودروس وعبر بشأن حياة الأمم السابقة ونظم إدارة شؤون البلاد والحياة الاجتماعية والآداب ومسائل الجهاد وما إلى ذلك من المباحث المنطقية الاستدلالية الخاضعة للدليل والبرهان.

ولما كانت نتاجات كبار الفلاسفة وعلماء العلوم المختلفة وحتى النتاجات الأدبية الشعرية لفطاحل الشعراء تؤخذ دون الحاجة إلى سلسلة الأسانيد، فان هذا الأمر يجري على مضامين نهج البلاغة بما يجعله غنياً عن تلك السلسلة، وحقيقة الأمر أنّها تحمل أدلتها معها «قضايا قياساتها معها».

نعم هناك محور صغير في النهج قد عُني ببعض الأحكام الفرعية التعبدية، فان كان من حديث عن السند، أمكن اقتصاره على هذا المحور والذي لا يشكل قطعاً عشر كتاب نهج البلاغة. ونخلص من هذا إلى عدم جدوى هذه الضجة المفتعلة بشأن أسانيد النهج، وهي زوبعة جوفاء عديمة الأثر.

الأمر الثاني: بغض النظر عمّا سبق،

فاننا لا نرى من عقبة في هذا الأمر حتى وإن اعتمدنا المعايير المتعارفة لحجية السند بالنسبة لنهج البلاغة؛ وذلك لأنّ المعيار الأصلي لقبول الحديث والرواية ـ على ضوء ما فرغ منه في علم الأصول وبرهن في محله ـ إنّما يتأتى الوثوق بها من طرق مختلفة؛ فأحياناً يحصل الوثوق بالرواية من خلال سلسلة السند وثقة الرواة، كما يحصل أحياناً أخرى مثل هذا الوثوق بواسطة كثرة الرواة ـ وفي الكتب المشهورة والمعتبرة ـ، وأخيراً قد يكون مضمون الرواية على درجة من العمق والرصانة على أنّه إنّما صدر من النبي (صلى الله عليه وآله) أو الإمام المعصوم؛ الأمر الذي يجعلنا نثق بهذه الرواية وهذا ما ذكروه بالنسبة لزبور آل محمد(صلى الله عليه وآله) الصحيفة السجادية (إلى جانب الإسناد المعتبرة التي أوردها بهذا الشأن)، بفضلها ضمت أدعية رفيعة سامية ذات مضامين عميقة صدرت عن الإمام السجاد علي بن الحسين زين العابدين(عليه السلام).

ولا شبهة ولا ريب أن من يتمعن في خطب نهج البلاغة ويتدبر مضامينها ويتأمل أسرارها، فانّه لا يملك سوى الإذعان بأنّ مثل هذه الكلمات محالة الصدور عن الإنسان العادي وأنّها لم تصدر سوى عن النبي(صلى الله عليه وآله) أو امتداده الإمام المعصوم (عليه السلام).

وعلى حد تعبير كبار علماء الفريقين: «إنّ كلامه فوق كلام المخلوقين ودون كلام الخالق».

وبناءً على هذا وعلى ضوء بزوغ الشمس دليل على وجودها، فان مضمون نهج البلاغة دليل على اعتبار سنده وصدوره عن المعصوم(عليه السلام)، واننا لنوقن بذلك على أنّه لم ينسب لمعصوم سوى لعلي(عليه السلام). فمن ذا الذي يحتمل أنّه صدر من فرد عادي ثم نسبه لعلي(عليه السلام)؟! إذا كان مثل هذا الإبداع أو حتى عشر من أعشاره فلم لا ينسبه لنفسه ويفوز بهذا الشرف؟ وناهيك عمّا تقدم وعلى ضوء ما نعرفه عن شخصية «السيد الرضي» ووثاقته وعلو مقامه.

فاننا نقطع بأنّه لم ينسبه إلى علي(عليه السلام) ما لم يكن قد رأى مصادره المعتبرة، فهو لا يقول روي عن أمير المؤمنين علي(عليه السلام) أنّه قال كذا، بل اعتاد القول «ومن خطبه (عليه السلام) ومن رسائله ومن كلماته القصار». فكيف وأنى لهذا العملاق أن يتحدث بهذه الثقة والقطع وينسب الكلمات لإمامه المعصوم دون أن يستند إلى إسناد معتبرة وردت بهذا الشأن؟!. أضف إلى ذلك فقد دونت عدّة مصنفات قبل «السيد الرضي» ضمت أغلب خطب ورسائل نهج البلاغة والكلمات القصار؛ الأمر الذي يثبت أنّ هذه الكلمات كانت متداولة أيضاً قبل السيد الرضي ومعروفة بين العلماء والمحدثين والرواة وأحياناً بين عوام الناس.

ومن شأن هذه الشهرة أن تغنينا عن الإسناد. بل ذهب بعض كبار المؤرخين أنّ الخطب التي اشتهرت بين الناس كانت أكثر بكثير من هذا المقدار الذي جمعه «السيد الرضي» في نهج البلاغة، والواقع هو أنّ النهج عبقات من تلك الخطب.

ومنهم المؤرخ المعروف «المسعودي» الذي عاش لقرن قبل «السيد الرضي»، والذي صرّح في كتابه «مروج الذهب» بشأن خطب الإمام علي(عليه السلام) قائلاً: «والذي حفظ الناس عنه من خطبه في سائر مقاماته أربع مائة ونيف وثمانون خطبة»(مروج الذهب ٢ / ٤١٩، طبعة دار الهجرة قم). والحال ان النهج لا يضم أكثر من مئتين وأربعين خطبة.

ونقل العالم المعروف «السبط بن الجوزي» في كتابه «تذكرة الخواص» عن «السيد المرتضى» انّه قال: «بلغتني أربعمئة خطبة من خطب الإمام علي»(تذكرة الخواص / ١٢٨).

وقال صاحب «البيان والتبيين» العالم المعروف: «كانت خطب الإمام علي(عليه السلام) مدونة ومحفوظة ومشهورة»(البيان والتبيين ١ / ٨٣).

وقال «ابن واضح» في كتابه «مشاكلة الناس لزمانهم»: «لقد حفظ الناس الكثير من خطب الإمام علي عليه السلام، فقد ألقى أربعمئة خطبة حفظها الناس، وهي هذه الخطب المتداولة بيننا» (مشاكلة الناس لزمانهم/ ١٥).

بعض من ألف عن أسانيد نهج البلاغة

وهنا لابدّ من القول بأن جمعاً من العلماء المعاصرين والفضلاء ألفوا كتباً كمصادر وإسناد لنهج البلاغة، حيث استخرجوا أسانيد الخطب من الكتب التي صنفت قبل «السيد الرضي» وصرحوا بها في كتبهم، من قبيل كتاب «مصادر نهج البلاغة وأسانيده» تأليف العالم المحقق «السيد عبد الزهراء الحسيني الخطيب» الذي يجعل الباحث يقف على هذه الحقيقة، وهي أنّ السيد الرضي لم ينفرد قط بنقله لهذه الخطب.

يذكر أنّ هذا الكتاب يفيد بأنّ نهج البلاغة قد جمع من مئة وأربعة عشر كتاباً، وأنّ أكثر من عشرين منها قد دونت من قبل علماء كانوا يعيشون قبل السيد الرضي. ومن أراد المزيد فليراجع الكتاب المذكور حيث لا نرى المقام يسع للاستغراق أكثر من هذه العجالة. والذي تجدر الإشارة إليه هنا أنّ السيد الرضي قد استفاد من خمسة عشر كتاباً ـ ذكرها خلال بعض تعليقاته على كلمات نهج البلاغة ـ في جمعه لنهج البلاغة.

ونستنتج ممّا مرّ معنا خواء الشكوك التي نشأت من عدم وجود الأسانيد[1].

.....

(١) هذا البحث مستل من كتاب نفحات الولاية في شرح نهج البلاغة شرح وافٍ بأسلوب جديد، تأليف آية الله الشيخ مكارم الشيرازي ج١ ص٣١ - ٣٤.

مشروعية الاستخارة وأنها ليست من الاستقسام بالأزلام

ملاحظة قبل البدء

مقال علمي شيق لآية الله العظمى الشيخ لطف الله الصافي (دام ظله) يتناول بيان أنواع الاستخارة والحكم الشرعي فيها، ودفع الشبهة عنها من أنها من الاستقسام بالأزلام المنهي عنه في القرآن الكريم، وهو في الحقيقة نقد علمي على ما كتبه الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر سابقاً.

نص المقالة بقلم آية الله العظمى الشيخ لطف الله الصافي:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الأمين الذي ترك في أُمّته ما إن تمسكوا به لن يَضلّوا أبدا، كتاب الله، وعترته أهل بيته صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين.

قال تعالى:

(حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ). (سورة المائدة الآية:٣).

قرأت في رسالة الإسلام (العدد الأول من السنة الخامسة) التي تُصدرها دار التقريب بالقاهرة جزءاً في تفسير القرآن الكريم للأستاذ الشهير (الشيخ محمود شلتوت، ووقفت فيه على ما كتب حول تفسير هذه الآية الكريمة وقوله تعالى: (وأن تَسْتَقْسِموا بالأزلام)، وما اختاره فيه.

وقد ألحق فيما ألحق بالاستقسام بالأزلام، من الطرق بالحَصَى وضرب الفول والرمل، الاستخارةَ من الله تعالى بالقرآن الكريم، وحَبات السبحة المأثورة من أئمة أهل البيت عليهم السلام، وزعم أن كل ذلك ينافي احتفاظ الإنسان بعقله، وأن القرآن المجيد يصير بذلك والعياذ بالله أداة الشعوذة.

حيث قال: (ويلحق بهذا النوع الذي حرمه الله على الإنسان احتفاظاً بعقله، ما يشبه من وسائل الاستقسام التي يعتادها الناس اليوم كالطرق بالحصى، وضرب الفول والرمل، والاستخارة بحبات السبحة، ومن أقبح أنواع الاستخارة الاستخارة بالقرآن الكريم الذي جرت به عادة بعض المسلمين، وصار شأناً معروفاً حتى عند أهل العلم والدين، وما كان الله ليرضى أن يكون كتاب هدايته وإرشاده بالتي هي أقوم في الحياة العقلية والروحية والعملية، أداة الشعوذة أولعبة يد عابث أومضلل أومحتال).

ولا يخفى عليك أنه إنما قال ما قال، لأنه لم يتحصل أولا معنى الاستقسام بالأزلام، وثانياً لم يتفهم حقيقة الاستخارة، وأنها لم ترد في مورد استقل العقل بحسن فعله أوتركه، أوحكم الشرع برجحان فعله أوتركه، ولا تنافي كرامة القرآن المجيد وكونه كتاب الهداية والإرشاد بالتي هي أقوم، كما أنه لا ينافي ذلك التبرك به وبآياته، وقراءته لأجل الثواب، وحصول بعض المقاصد كشفاء الأمراض مما هومجرب ومأثور في الأحاديث الكثيرة المتواترة.

غير أن التأثر بالثقافة المادية المسيطرة على الأفهام والمشاعر، يريد أن لا يقبل تأثير عالم الغيب في عالم الشهادة، ويريد أن لا يؤمن بعلل غير مادية وتأثيرات غيبية، فينكر أثر التوكل والتفويض والدعاء والصدقة. ولذا ترى بعضهم يُنكرون معجزات الأنبياء، وما صدر منهم من خرق العادات في عالم المادة، كقلب العصا ثُعباناً، ومعجزة صالح، وحوت يونُس، وإحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص، ونصرة النبي صلى الله عليه وآله بالملائكة.

ومن لا يُنكر ذلك منهم يؤوله، ويرى الإيمان به ضرباً من الإيمان بالخرافات، ويعد إنكاره نوعاً من الثقافة. وفتح باب ذلك في الكتاب والسنة، يقلب الشريعة ظهراً لبطن - أعاذنا الله من شر هذه الثقافات.

وفي الاستخارات المأثورة التي هي ليست إلا مظهراً من مظاهر الإيمان بالله وطلب الخير أومعرفته منه أيضاً يتبعون هذه الثقافة التي ليست من التفكير الإسلامي بشيء، فينكرونها، ويلحقونها تارة بأفعال المشركين وعاداتهم، وتارة بما لم يرد فيه حديث ورواية، ولم يثبت شرعيته من جانب الشرع.

أقول: في تفسير الاستقسام بالأزلام أقوال

إن المراد بالاستقسام بالأزلام، طلب معرفة الخير والشر، وما قسم في مستقبل الحياة واستعلامها، من عند الأصنام. وعلل بعضهم حرمة ذلك على تضمنه العقيدة بالأصنام، ورده بعضهم بأن ذلك لم يكن في جميع الأحوال عند الأصنام، فربما كان مع الرجل زلمان، يستقسم بهما إذا شاء. ويرد ذلك بأن هذا لا ينافي كون العلة تكريم الأصنام، فإن الظاهر أن الأصل في ذلك عندهم أن يكون عند الأصنام، وعند تعذر الحضور في بيت الصنم يستقسم بما معه من الأزلام، كما

أن الظاهر أن هذا ليس من العلة المنحصرة، فيمكن أن يكون لحرمته علل أخرى.

وكيف كان، قال في لسان العرب (قال الأزهري): الاستقسام مذكور في موضعه، والأزلام كانت لقريش في الجاهلية مكتوب عليها أمر ونهي، وافعل ولا تفعل، قد زلمت وسويت ووضعت في الكعبة، يقوم بها سدنة البيت. فإذا أراد رجل سفراً أونكاحا، أتى السادن، فقال: أخرج لي زلما. فيخرجه وينظر إليه، فإذا خرج قدح الأمر، مضى على ما عزم عليه، وإن خرج قدح النهي، قعد عما أراده، وربما كان مع الرجل زلمان، وضعهما في قرابه، فإذا أراد الاستقسام أخرج أحدهما).

وروى الطبري في تفسيره عن ابن إسحاق، قال: كانت هُبَل أعظم أصنام قريش بمكة، وكانت في بئر في جوف الكعبة، وكانت تلك البئر هي التي يجمع فيها ما يهدى للكعبة. وكانت عند هُبل سبعة أقداح، كل قدح منها فيه كتاب - إلى أن قال: - كانوا إذا أرادوا أن يجيبوا غلاما، أوأن ينكحوا منكحا، أوأن يدفنوا ميتا، أويشكّوا في نسب واحد منهم، ذهبوا به إلى هبل بمئة درهم وبجزور، فأعطاها صاحب القداح الذي يضربها، ثم قربوا صاحبهم الذي يريدون به ما يريدون، ثم قالوا: يا إلهنا هذا فلان بن فلان، قد أردنا به كذا وكذا، فاخرج الحق فيه، الخ.

الفرق بين الاستخارة والاستقسام

ثم إن من جميع ذلك يظهر أن لا وجه لإلحاق الاستخارة بالقرآن المجيد وبحبات السبحة، بالاستقسام بالأزلام لوجود الفرق بين الاستقسام بالأزلام وبين الاستخارة. فإن حقيقة الاستقسام يرجع إلى الشرك، واستعلام ما يكون في المستقبل، وطلب معرفة الخير والشر من الأصنام. والاستخارة حقيقتها، الدعاء، وطلب الحاجة، ومعرفة الخير من الله تعالى علام الغيوب والفرق بينهما، هو الفرق بين الشرك والتوحيد، مع أنه ليس في الاستخارة طلب معرفة ما يقع في مستقبل الحياة مثل الموت والمرض ووجدان الضالة وغيرها مما يكون مآله طلب معرفة الغيوب.

وإنما يستفاد منها إذا كان مؤداها الخير، أن الأمر كيف وقع، ووقع أم لم يقع، يكون فيه الخير، وأن ما يقع هو أصلح الأمرين أو الأمور. ومثل هذا إنما يؤثر في الإقدام على الفعل أو تركه. فعلى هذا، الاستخارة بالقرآن الكريم وبالسبحة، ليست مخالفة للكتاب، ولا مانعاً من هدايته وإرشاده للتي هي أقوم.

روايات الاستخارة من كتب العامة وطرقهم

وبعد ذلك، فلا بأس بذكر بعض ما ورد في الاستخارة من الأحاديث فنقول: دلت الروايات من طرق العامة على استحباب الاستخارة ومطلوبيتها:

فمنها: ما أخرجه أحمد والبخاري وغيرهما من أرباب السنن والمسانيد عن جابر بن عبد الله، قال: كان رسول الله يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كالسورة من القرآن، يقول: (إذا همّ أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة، ثم ليقل: أللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك » الحديث.

ومنها: ما أخرجه أحمد في مسنده: ١ / ١٦٨، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

من سعادة ابن آدم، استخارته الله، ومن سعادة ابن آدم، رضاه بما قضاه الله، ومن شقوة ابن آدم، تركه استخارة الله، ومن شقوة ابن آدم، سخطه بما قضى الله عزّ وجلّ.

روايات الاستخارة من طرق أهل البيت عليهم السلام

وأما الأخبار من طرقنا، فأكثر من أن تحصى:

فمنها: ما رواه ثقة الإسلام في (الكافي) بسند صحيح، قال: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ عليه السلام:

صَلِّ رَكْعَتَيْنِ واسْتَخِرِ اللَّهَ فَوَاللَّهِ مَا اسْتَخَارَ اللَّهَ مُسْلِمٌ إِلاَّ خَارَ لَهُ الْبَتَّةَ.

ومنها: ما روي عن البرقي في (المحاسن) عن أبي عبد الله عليه السلام، قَالَ:

قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: مِنْ شَقَاءِ عَبْدِي أَنْ يَعْمَلَ الْأَعْمَالَ فَلَا يَسْتَخِيرَنِي.

وربما يستخار لرفع التحير وطلب تعرف ما فيه الخيرة بالسبحة، وهي أيضاً مروية في طرقنا عن الصادق عليه السلام، وكذا بالرقاع، وهي أيضاً مروية عن أبي عبد الله عليه السلام.

ومنها: ما روي عن أبي عبد الله عليه السلام:

إِذَا أَرَادَ أَحَدُكُمْ شَيْئاً فَلْيُصَلِّ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ لِيَحْمَدِ اللَّهَ وَلْيُثْنِ عَلَيْهِ وَلْيُصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَهْلِ بَيْتِهِ وَيَقُولُ اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا الْأَمْرُ خَيْراً لِي فِي دِينِي وَدُنْيَايَ فَيَسِّرْهُ لِي وَاقْدُرْهُ وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ فَاصْرِفْهُ عَنِّي.

وغيرها، مما هو مذكور في جوامع الحديث.

الاستخارة نوعان

ولا يخفى عليك أنه يستفاد من مجموع الأحاديث أن الاستخارة نوعان:

النوع الأول: مجرد طلب الخير بالدعاء.

النوع الثاني: طلب تعرف ما فيه الخير من الله تعالى، أو طلب العزم على ما فيه الخيرة، كما دلت عليه أحاديث الاستخارة بالرقاع وبالقرآن المجيد وبالسبحة.

ومحل هذا النوع، تحير المستخير في أمرين مباحين، أو مستحبين، بل ومكروهين إذا لم يكن طريق لمعرفة رجحان أحدهما على الآخر، لا من الشرع ولا من العقل، ولا من أحد يشاوره.

فإذا صار حاله كذلك، ولم يأت منه الجزم على أحد الطرفين، يستخير الله تعالى لرفع تحيره وتحصيل الجزم على أحد الطرفين، ويعمل على مؤدي إستخارته، ويبني على أن ذلك هو الأرجح، كما أنه يصير أرجح أيضاً من جهة أداء استخارته إليه وكونه عملا بما خار الله تعالى له.

وليكن هذا آخر كلامنا في هذا البيان، ومن أراد التوسع في ذلك، فعليه بمراجعة جوامع الحديث وما كتب الأصحاب حول الاستخارة وآدابها وأنواعها.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

التعلم والتعليم

لكل من التعلم والتعليم آداب وشروط

(أما آداب التعليم): أن يجتنب المتعلم اتباع الشهوات والهوى والاختلاط بأبناء الدنيا، ولقد قال بعض الأكابر: (كما أن الحاسة الجليدية إذا كانت مؤوفة برمد ونحوه فهي محرومة من الأشعة الفائضة عن الشمس، كذلك البصيرة إذا كانت مؤوفة بمتابعة الشهوات والهوى والمخالطة بأبناء الدنيا فهي محرومة من إدراك الأنوار القدسية ومحجوبة عن ذوق اللذات الأنسية).

(ومنها) أن يكون تعلمه لمجرد الترقب إلى الله والفوز بالسعادات الأخروية، ولم يكن باعثه شيئاً من المراء والمجادلة، والمباهاة والمفاخرة، والوصول إلى جاه ومال، أو التفوق على الأقران الأمثال.

قال الإمام الباقر عليه السلام:

«من طلب العلم ليباهي به العلماء أو يماري به السفهاء أو يصرف به وجوه الناس فليتبوأ مقعده من النار، إن الرئاسة لا تصلح إلا لأهلها».

وقال الإمام الصادق عليه السلام:

«طلبة العلم ثلاثة، فاعرفهم بأعيانهم وصفاتهم صنف يطلبه للجهل والمراء، مؤذ ممار، متعرض للمقال في أندية الرجال بتذاكر العلم وصفة الحلم، وقد تسربل بالخشوع وتخلى من الورع، فدق الله من هذا خيشومه وقطع منه حيزومه، وصاحب الاستطالة والختل ذو خب وملق، يستطيل على مثله من أشباهه، ويتواضع للأغنياء من دونه، فهو لحلوانهم هاضم ولدينه حاطم، فاعمى الله على هذا خبره وقطع من آثار العلماء أثره.

وصاحب الفقه والعقل ذو كآبة وحزن وسهر، قد تحنك في برنسه وقام الليل في حندسه، يعمل ويخشى وجلاً داعياً مشفقاً مقبلاً على شأنه عارفاً بأهل زمانه مستوحشاً من أوثق إخوانه، فشد الله من هذا أركانه وأعطاه يوم القيامة أمانه».

(ومنها) أن يعمل بما يفهم ويعلم، فإن من عمل بما يعلم ورثه الله ما لم يعلم، وقال الإمام الصادق عليه السلام:

«العلم مقرون إلى العمل، من علم عمل ومن عمل علم، والعلم يهتف بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل عنه».

وعن الإمام السجاد عليه السلام:

«مكتوب في الإنجيل: لا تطلبوا علم ما لا تعملون ولما تعملوا بما علمتم، فإن العلم إذا لم يعمل به لم يزدد صاحبه إلا كفراً ولم يزدد من الله إلا بعداً».

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

«من أخذ العلم من أهله وعمل بعلمه نجا، ومن أراد به الدنيا فهي حظه».

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم:

«العلماء رجلان: رجل عالم آخذ بعلمه فهذا ناج، وعالم تارك لعلمه فهذا هالك، وإن أهل النار ليتأذون من ريح العالم التارك لعلمه، وإن أشد أهل النار ندامة وحسرة رجل دعا عبداً إلى الله فاستجاب له وقبل منه، فأطاع الله فأدخله الجنة، وأدخل الداعي النار بترك عمله واتباعه الهوى وطول الأمل، أما اتباع الهوى فيصد عن الحق وطول الأمل ينسي الآخرة».

(ومنها) أن يحافظ على شرائط الخضوع والأدب للمعلم، ولا يرد عليه شيئاً بالمواجهة، يكون محباً له بقلبه، ولا ينسى حقوقه، لأنه والده المعنوي الروحاني، وهو أعظم الآباء الثلاثة.

قال الإمام الصادق عليه السلام:

«أطلبوا العلم وتزينوا معه بالحلم والوقار، وتواضعوا لمن تعلمونه العلم، وتواضعوا لمن طلبتم منه العلم، ولا تكونوا علماء جبارين فيذهب باطلكم بحقكم».

هذا وقد أشرنا سابقاً إلى أن اللازم لكل متعلم أن يطهر نفسه أولاً من رذائل الأخلاق وذمائم الأوصاف بأسرها، إذ ما لم يجرد لوح نفسه عن النقوش الردية لم تشرق عليه لمعات أنوار العلم والحكمة من ألواح العقول الفعالة القدسية.

(آداب التعليم)

(فمنها) أن يخلص المعلم تعليمه لله سبحانه ولم يكن له فيه باعث دنيوي من طمع مالي أو جاه ورئاسة أو شهرة بين الناس، بل يكون الباعث مجرد التقرب إلى الله تعالى والوصول إلى المثوبات الأبدية، فإن من علم غيره علماً كان شريكاً في ثواب تعليم هذا الغير لآخر، وفي ثواب تعليم هذا الآخر لغيره... وهكذا إلى غير النهاية، فيصل بتعليم واحد إلى مثوبات التعاليم غير المتناهية، وكفى بهذا له فضلاً وشرفا.

(ومنها) أن يكون مشفقاً على المتعلم ناصحاً له، مقتصراً في الإفادة على قدر فهمه، متكلماً معه باللين والهشاشة لا بالغلظة والفظاظة.

(ومنها) أن لا يضن بالعلم عن أهله ويمنعه عن غير أهله، لأن بذل الحكمة للجهال ظلم عليها، ومنعها عن أهلها ظلم عليهم، كما ورد في الخبر.

(ومنها) أن يقول ما يعلم ويسكت عما لا يعلم حتى يرجع إليه ويعلمه، ولا يخبر المتعلمين ببيان خلاف الواقع، وهذا الشرط لا يختص بالمعلمين، بل يعم كل من تصدر عنه المسائل العلمية كالمفتي والقاضي وأمثالهما.

وقال الإمام الباقر عليه السلام:

«حق الله على العباد أن يقولوا ما يعلمون ويقفوا عند ما لا يعلمون».

وقال الصادق عليه السلام:

«إن الله تعالى خص عباده بآيتين من كتابه: ألا يقولوا حتى يعلموا ولا يردوا ما لم يعلموا، فقال: ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَاقُ الْكِتَابِ أَن لَّا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾[1]

وقال: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾[2]

وعنه عليه السلام قال:

«إذا سئل الرجل منكم عما لا يعلم فليقل: لا أدري، ولا يقل: الله اعلم، فيوقع في قلب صاحبه شكاً، وإذا قال المسؤول: لا أدري، فلا يتهمه السائل».

وعنه عليه السلام:

«إياك وخصلتين ففيهما هلك من هلك إياك أن تفتي الناس برأيك، أو تدين بما لا تعلم».

وعن الإمام الباقر عليه السلام:

«من أفتى الناس بغير علم ولا هدى لعنته ملائكة الرحمة وملائكة العذاب ولحقه وزر من عمل بفتواه».

وربما كان لكل من المتعلم والمعلم آداب أخر تظهر لمن وقف على فن الاخلاق، ثم العارف بأهل زماننا يعلم أن آداب التعلم والتعليم كسائر الآداب والفضائل فيهم مهجورة، والأمر في مثل الزمان كما قال في وصفه بعض أهل العرفان:

قد فسد الزمان وأهله
وتصدى للتدريس من قل علمه وكثر جهله
فانحطت مرتبة العلم وأصحابه
واندرست مراسمه بين طلابه.

العلم الإلهي وعلم الأخلاق والفقه أشرف العلوم

العلم كله وإن كان كمالاً للنفس وسعادة، إلا أن فنونه متفاوتة في الشرافة والجمالة ووجوب التحصيل وعدمه، فإن بعضها كالطب والهندسة والعروض والموسيقى وأمثالها، مما ترجع جل فائدته إلى الدنيا ولا يحصل بها مزيد بهجة وسعادة في العقبى، ولذا عدت من علوم الدنيا دون الآخرة، ولا يجب تحصيلها، وربما وجب تحصيل بعضها كفاية.

وما هو علم الآخرة الواجب تحصيله، وأشرف العلوم وأحسنها هو العلم الإلهي المعرف لأصول الدين، وعلم الأخلاق المعرف لمنجيات النفس ومهلكاتها، وعلم الفقه المعرف لكيفية العبادات والمعاملات، والعلوم التي مقدمات لهذه الثلاثة كالعربية والمنطق وغيرهما يتصف بالحسن ووجوب التحصيل من باب المقدمة، وهذه العلوم الثلاثة وإن وجب أخذها إجمالاً إلا أنها في كيفية الأخذ مختلفة!

فعلم الأخلاق يجب أخذه عيناً على كل أحد على ما بينته الشريعة وأوضحه علماء الأخلاق، وعلم الفقه يجب أخذ بعضه عيناً إما بالدليل أو التقليد من مجتهد حي، والتارك للطريقين غير معذور، ولذا ورد الحث الأكيد على التفقه في الدين.

قال الإمام الصادق عليه السلام:

«عليكم بالتفقه في دين الله ولا تكونوا أعراباً، فإنه من لم يتفقه في دين الله لم ينظر إليه يوم القيامة ولم يزك له عملاً».

وقال عليه السلام:

«ليت السياط على رؤوس أصحابي حتى يتفقهوا في الحلال والحرام».

وقال عليه السلام:

«إن آية الكذاب أن يخبرك خبر السماء والأرض والمشرق والمغرب، فإذا سألته عن حرام الله وحلاله لم يكن عنده شيء».

وأما أصول العقائد فيجب أخذها عيناً من الشرع والعقل، وهما متلازمان لا يختلف مقتضى أحدهما عن مقتضى الآخر، إذ العقل هو حجة الله الواجب امتثاله والحاكم العدل الذي تطابق أحكامه الواقع ونفس الأمر، فلا يرد حكمه، ولولاه لما عرف الشرع، ولذا ورد: (إنه ما أدى العبد فرائض الله حتى عقل عنه، ولا بلغ جميع العابدين في فضل عبادتهم ما بلغ العاقل)، فهما متعاضدان ومتظاهران، وما يحكم به أحدهما يحكم به الآخر أيضا، وكيف يكون مقتضى الشرع مخالفاً لمقتضى ما هو حجة قاطعة وأحكامه للواقع مطابقة، فالعقل هو الشرع الباطن والنور الداخل، والشرع هو العقل الظاهر والنور الخارج، وما يتراءى في بعض المواضع من التخالف بينهما إنما هو لقصور العقل أو لعدم ثبوت ما ينسب إلى الشرع منه، فإن كل عقل ليس تاماً، وكل ما ينسب إلى الشرع ليس ثابتاً منه، فالمناط هو العقل الصحيح وما ثبت قطعاً من الشريعة، وأصح العقول وأقواها وأمتنها وأصفاها هو عقل صاحب الوحي، ولذا يدرك بنوريته ما لا سبيل لأمثال عقولنا إلى دركه، كتفاصيل أحوال نشأة الآخرة، فاللازم في مثله أن نأخذه منه إذعاناً وإن لم نعرف مأخذه العقلي.[3]

.....

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٦٩.
(٢) سورة يس، الآية: ٣٩.
(٣) جامع السعادات للمحقق النراقي: ص٨٧ - ٩١.

الحلقة الرابعة

شروط الإمام ومواصفاته بين الشيعة وأهل الجماعة

مر علينا في العدد السابق ان أهل السنة قد وضعوا شرطا لمن يتولى منصب الإمامة بعد الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله أسموه بالعدالة، فأوجبوا من حيث الجانب النظري على الإمام ان يكون مجتنبا للكبائر والصغائر وان يكون متعففا حتى عن بعض المباحات التي تخرم وتسقط المروءة، وان يتمتع بالورع والتقوى والصدق والأمانة والعدل ورعاية الآداب الشرعية والاجتماعية، والالتزام بكل ما أوجبته الشريعة المقدسة، وبناءً على كل ذلك منعوا أن يتولى الإمامة فاسق، واستدلوا على ذلك بعدة أمور، وقد أوضحنا كل ذلك في العدد السابق.

ولكنهم جوزوا أن يتولى الفاسق والعاصي ومن ليس بالأفضل في بعض الأحيان وعند الاضطرار وفقدان الأفضل أو غلبة غير الأفضل بالقوة والقهر على منصب الإمامة والقيادة. وهذا أيضا قد مر في العدد السابق.

والذي نريد استعراضه في هذا العدد هو مقدار التوافق والاختلاف بين هذا الذي ذهب إليه أهل السنة وبين ما يعتقده الشيعة الإمامية في وجوب اتصاف الإمام بالعصمة وهل أن الاختلاف بين الفريقين هو نظري أو هو اختلاف عملي فقط، فنقول:

العصمة لغة

عَصَمَ، يعصم من باب ضَرَبَ: حَفِظَ ووقى.

(راجع المصباح المنير: ٤١٧ مادة «عَصَمَ»).

وهي في كلام العرب: معناها المنع.

(مختار الصحاح: ٤٣٧ مادة عصم).

والعاصم هو: المانع الحامي.

(راجع لسان العرب ١٢: ٤٠٣ مادة عصم).

وعليه فيصبح كل من حفظ نفسه ووقاها ومنعها فهو معصوم، وتارة يكون العاصم هو نفس الإنسان، وتارة يكون موجودا آخر كالله سبحانه، وكلاهما يسمى عاصما، هذا من حيث اللغة.

العصمة في الاصطلاح

عرّف الشيخ المفيد العصمة في الاصطلاح الشرعي بأنّها: (لطفٌ يفعلُهُ الله تعالى بالمكلّف، بحيث تمنع منه وقوع المعصية، وترك الطاعة، مع قدرته عليهما).

(النكت الاعتقادية الشيخ المفيد: ١٠: ٣٧).

وقد عرفها الشيخ المظفر بقوله: (والعصمة: هي التنزّه عن الذنوب والمعاصي، صغائرها وكبائرها، وعن الخطأ والنسيان، وإن لم يمتنع عقلاً على النبي ان يصدر منه ذلك، بل يجب ان يكون مُنزّهاً عمّا ينافي المروءة، كالتبذّل بين الناس من أكل في الطريق، أو ضحك عالٍ، وكل عمل يستهجن فعله عند العرف العامّ).

(عقائد الإمامية للشيخ محمد رضا المظفر ص٤٥).

ويلاحظ على تعريف الشيخ المظفر رحمه الله تعالى بأنه يتوافق مع كثير مما ورد في تعريف أهل السنة للعدالة التي اشترطوها للإمام فهم أيضا قد أكدوا على ضرورة أن يكون الإمام منزّها عن صغائر الذنوب وكبائرها، وان يرتفع بنفسه عن كل ما ينافي المروءة والتبذل بين الناس، فالشيعة وأهل السنة متفقون بهذا المقدار من العصمة، وان اختلفوا بالاسم فأهل السنة يسمونها عدالة وأتباع أهل البيت يسمونها عصمة.

وتمتاز عنهم بان الإمام ليس منزها عن المعاصي والذنوب فحسب بل ومنزه عن الخطأ والنسيان عمدا أو سهوا، وان هذا التنزه والمنع أصله من الله سبحانه فهو لطف الهي يؤيد به الإمام ـ نبيا كان أو إماما ـ فيمتنع المعصوم بواسطة هذا اللطف عن صدور الذنوب والمعاصي منه وعن النسيان والخطأ العمدي أو السهوي، ولكن يجب أن نؤكد على قضية مهمة وهي أن هذا اللطف الإلهي لا يسلب الاختيار عن المعصوم، بل يؤيده ويسدده إلى سلوك الصالح وترك الطالح وفعل الحسن وترك السيئ وان لا يغفل ولا يسهو ولا ينسى.

وتمتاز عنهم أيضا بأننا نرى ووفقاً للنظرية الشيعية التي ترى أنّ الإمام كالنبي واسطة في نزول الفيض المعنوي من جانب الله سبحانه إلى الأمّة، فلابد ان يتمتع بنفس صفاته ومن صفاته العصمة، أمّا أهل السنة فينظرون إلى العصمة من زاوية ان الإمامة عندهم لا تتجاوز كونها منصباً عادياً، وأنّ الإمام عندهم إنسان عادي لا يمتاز عن غيره من المسلمين بغير بعض المواهب والكفاءات التي يستلزمها منصب الإدارة فقط، فهي عندهم منصب دنيوي لا يستوجب العصمة شأنه شأن أي منصب دنيوي آخر.

بعض أقوال علماء الشيعة في وجوب عصمة الأنبياء والأئمة عليهم السلام

وقال العلاّمة الحلي قدس سره: (وقالت الإمامية إنّه يجب عصمتهم من الذنوب كلها صغيرها وكبيرها). (راجع: كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد الطوسي، تعليق الشيخ حسن زاده آملي: ٣٨٩، مؤسسة النشر الإسلامي).

وقال الشيخ بهاء الدين في جواب «المسائل المدنيات»: (عصمة الأنبياء والأئمة عليهم السلام من السهو والنسيان، مما انعقد عليه إجماعنا). (نقلاً عن كتاب «التنبيه بالمعلوم» الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي، تحقيق محمود البدري: ٥٩ مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي).

وقال العلاّمة المجلسي صاحب البحار قدس سره: (اعتقادنا في الأنبياء والرسل والأئمة، والملائكة عليهم السلام أنهم معصومون، مطهّرون من كل دنس، وأنّهم لا يذنبون ذنباً صغيراً ولا كبيراً، ولا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون. ومن نفى عنهم العصمة في شيء من أحوالهم فقد جهلهم، واعتقادنا فيهم أنّهم موصوفون بالكمال والتمام والعلم من أوائل أمورهم إلى أواخرها، لا يوصفون في شيء من أحوالهم بنقص ولا جهل). (بحار الأنوار المجلسي: ١١: ٧٢ باب عصمة الأنبياء عليهم السلام).

وقال الشيخ محمد رضا المظفر: (ونعتقد أن الإمام كالنبي يجب أن يكون معصوما من جميع الرذائل والفواحش ما ظهر منها وما بطن، من سن الطفولة إلى الموت، عمدا وسهوا. كما يجب أن يكون معصوما من السهو والخطأ والنسيان، لأن الأئمة حفظة الشرع والقوامون عليه حالهم في ذلك حال النبي، والدليل الذي اقتضانا أن نعتقد بعصمة الأنبياء هو نفسه يقتضينا أن نعتقد بعصمة الأئمة، بلا فرق). (عقائد الإمامية للشيخ محمد رضا المظفر ص٦٧).

بعض الأدلة على عصمة الإمام

الدليل الأول: يجب على الإمام أن يكون معصوماً ومنزّهاً من الذنب، لأنّه ما لم يتّصف الإمام بصفة العصمة لا يكون حينئذ موضوعاً لوثوق الناس بقوله وفعله، ولا يمكن أن يكون قدوة وأسوة لهم، كذلك لا يتسنّى له بدون العصمة ان ينفذ إلى قلوب الناس ومشاعرهم وأحاسيسهم، وعلى هذا الأساس فلابدّ للإمام - و لجلب وثوق الناس به واعتمادهم عليه ونفوذه في عقولهم وتفكيرهم - أن يكون معصوماً من كلّ أنواع الزلل والخطأ العمدي والسهوي.

وبعبارة ثانية فالغرض من تنصيب الإمام هو هداية الأمّة إلى الطريق المهيع، ولا يحصل ذلك إلاّ بالوثوق بقوله، والاطمئنان بصحّة كلامه، فإذا جاز على الإمام الخطأ والنسيان، والمعصية والخلاف، لم يحصل الوثوق بأفعاله وأقواله، وضعفت ثقة الناس به، فتنتفي الغاية من نصبه، وهذا نفس الدليل الذي استدلّ به المتكلّمون على عصمة الأنبياء، والإمام وإن لم يكن رسولا ولا نبيّاً ولكنّه قائم بوظائفهما.

نعم لو كانت وظيفة الإمام مقتصرة بتأمين السبل وغزو العدو والانتصاف للمظلوم وما أشبه ذلك، لكفى فيه كونه رجلاً عادلاً قائماً بالوظائف الدينية، وأمّا إذا كانت وظيفته أوسع من ذلك - كما هو الحال في مورد النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) فكون الإمام عادلاً قائماً بالوظائف الدينية، غير كاف في تحقيق الهدف المنشود من نصب الإمام.

فقد كان النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) يفسّر القرآن الكريم ويشرح مقاصده وأهدافه ويبيّن أسراره. كما كان يجيب على الأسئلة في مجال الموضوعات المستحدثة وكان يردّ على الشبهات والتشكيكات التي كان يلقيها أعداء الإسلام. وكان يصون الدين من محاولات التحريف والتغيير. وكان يربي المسلمين ويهذبهم ويدفعهم نحو التكامل.

وعليه فالفراغات الحاصلة برحلة النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) لا تسدّ إلاّ بوجود إنسان مثالي يقوم بتلك الواجبات وهو فرع كونه معصوماً عن الخطأ والعصيان.

الدليل الثاني: أنّ جميع الأدلّة العقلية التي أقيمت لإثبات عصمة النبي من قبيل: تحقيق أهداف البعثة، كسب ثقة الناس، فإنّها جميعاً تجري - وبنحو ما - في حق الإمام وفقاً للنظرية الشيعية، وإذا أردنا أن نصوغ ذلك الدليل بعبارة مختصرة نقول: إنّ عصمة الإمام لازم للنظرية التي ترى أنّ مقام الإمامة استمرار لمقام النبوة ووظائفها، أو أنّه استمرار لمقام إمامة النبي، ولا ريب أنّ هذه الاستمرارية لا يمكن أن تحصل من دون الإيمان بعصمة الإمام.

الدليل الثالث: إنّ الإمام هو القائد وهو الأسوة والقدوة، ولا ريب أنّ الإنسان غير المعصوم لا يمكن أن يكون أسوة وقدوة للآخرين. وبعبارة أخرى: ينبغي للأمّة أن تجري في أقوالها وأفعالها طبقاً لأقوال الإمام وأفعاله. فكيف يكون الإنسان غير المعصوم من الذنب وغير المصون من الخطأ أسوة وقدوة للأمّة تطبق أعمالها وأقوالها على أفعاله وأقواله؟!!

الدليل الرابع: إنّ الإمام هو الشخص المطاع بدون قيد أو شرط، أي أنّ إطاعته واجبة مطلقاً، ولا شكّ أنّ من تجب إطاعته مطلقاً وبلا قيد ولا شرط لا يمكن إلاّ أن يكون معصوماً.

هذه بعض الأدلة البسيطة والقريبة إلى الفهم لما يتعلق بمسألة العصمة ومن أراد المزيد فليراجع كتب العقائد والكلام التي فصلت الكلام عن هذا الموضوع بشكل مفصل.

الشيخ الفضل بن الحسن الطبرسي العالم والمفسر الكبير

اسمه ونسبه ومولده

هو العالم الفاضل المفسر الفقيه المحدث الجليل الثقة الكامل النبيل أمين الدين أو أمين الإسلام الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي الطوسي السبزواري الرضوي الملقب بـ(المشهدي).

ولد سنة ٤٧٠هـ، وعاصر خلال حياته ما عُرف بالدور الرابع من حكم دولة الخلافة العباسية.

ينتسب الطبرسي إلى (إقليم) طبرستان، وهي بلاد مازندران بعينها، وهي اليوم إحدى مقاطعات ايران الهامة، والرضوي والمشهدي نسبة إلى مشهد الإمام علي بن موسى الرضا صلوات الله وسلامه عليه لأنه سكن فيه.

بعض ما قيل في مدحه رضوان الله تعالى عليه

قال صاحب (رياض العلماء) بعد الترجمة له بأمثال هذه الصفات: كان قدس سره وولده رضي الدين أبو نصر حسين ابن الفضل، صاحب (مكارم الأخلاق) وسبطه: أبو الفضل علي بن الحسن صاحب (مشكاة الأنوار) وسائر سلسلته وأقرباته من أكابر العلماء ويروي عنه جماعة من أفاضل العلماء، منهم ولده المذكور، وابن شهر آشوب والشيخ منتجب الدين، والقطب الراوندي... وغيرهم.

وقال صاحب (مجالس المؤمنين) ما مفاده: إن عمدة المفسرين أمين الدين ثقة الإسلام، أبو علي الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي، كان من نحارير علماء التفسير، وتفسيره الكبير الموسوم بـ(مجمع البيان) بيان كاف ودليل واف لجامعيته لفنون الفضل والكمال.

وعن رياض العلماء أيضاً ومؤلفه الشيخ الحافظ المتبحر ملا عبد الله الاصفهاني المعروف بـ(الافندي)، انه وصف الطبرسي بالشيخ الشهيد الإمام، وانه قال رأيت نسخة من مجمع البيان بخط الشيخ قطب الدين الكيدزي، قد قرأها نفسه على نصير الدين الطوسي، وعلى ظهرها أيضا بخطه هكذا: تأليف الشيخ الإمام الفاضل السعيد الشهيد.

كتبه ومصنفاته

للعالم البحاثة والمفسر الكبير الشيخ أمين الدين الطبرسي مصنفات كثيرة ونافعة، وجملة منها مشهور. وفي المقاييس له مؤلفات فايقة رائقة وقد سمعت قول الفاضل النوري أن له مؤلفات رائقة وجملة منها شائع، وقال السيد مصطفى التفريشي له مصنفات حسنة. وفي التعليقة له تصنيفات حسنة إلى غير ذلك من أقوال العلماء، ومن أبرز تلك المصنفات:

مجمع البيان لعلوم القرآن، فسر به القرآن الكريم في عشر مجلدات، المستمد من البيان لشيخ الطائفة محمد بن الحسن بن علي الطوسي، كما ألمع إلى ذلك في مقدمة مجمع البيان، والفائق عليه الترتيب والتهذيب والتحقيق والتنميق، واختصار الفروع الفقهية التي أكثر الشيخ من ذكرها، وهو من أحسن التفاسير واجمعها لفنون العلم وأحسنها ترتيباً، فرغ من تأليفه منتصف ذي القعدة ٥٣٦هـ.

(الكاف الشاف) من كتاب (الكشاف) (جامع الجوامع) أو (جوامع الجامع)، صنفه بعد اطلاعه على الكشاف لأنه صنف مجمع البيان قبل أن يطلع على الكشاف، فلما اطلع عليه صنف جامع الجوامع ليكون جامعاً بين فوائد الكتابين بوجه الاختصار، كما صرح به في مقدمته، وعد الشيخ منتجب الدين على ما نقل عنه في الفهرست في مصنفاته (الوسيط) في التفسير أربع مجلدات (والوجيز) مجلدة.

(الوافي) في تفسير القرآن أيضاً (أعلام الهدى في فضائل الأئمة عليهم السلام) في مجلدين.

قيل ومن الغرائب أن السيد رضي الدين بن طاووس ألف كتاب (ربيع الشيعة على نهج اعلام الورى) قد وافقه في جميع الأبواب والمطالب والفصول، وبالجملة لا تفاوت بينهما أصلاً (تاج المواليد) (الآداب الدينية) (الخزانة المعينية) (النور المبين) (الفائق) (غنية العابد) (كنوز النجاح) نسبه إليه فيما قيل رضي الدين بن طاووس في مهج الدعوات، وفي كتاب المقابس للشيخ أسد الله الكاظمي رحمه الله. وللطبرسي كتاب (الكاف الشاف من كتاب الكشاف)، والظاهر انه تفسيره الوسيط، وحكى أنه انتقل من المشهد الرضوي المقدس إلى بلدة سبزوار، سنة ٥٢٣.

ومن مؤلفاته كتاب (صحيفة الرضا) كما يشير كلام صاحب (الرياض). ولهذا الكتاب طرق عديدة سوى طرق الطبرسي، من طرق الخاصة والعامة، منها قول صاحب النسخة، فيقول الفقير إلى الله الكريم الغني طاهر بن محمد الروانيزي غفر له: أخبرني بالصحيفة المباركة الميمونة الموسومة بـ(صحيفة الإمام الرضا ... أجازه بإجازته العامة شيخي ومخدومي قدوة أرباب الهدى أسوة أصحاب التقى بقية لحرام الأولياء قطب دوائر المحققين، سعد الحق والملة والدين، يوسف ابن الشيخ الكبير).

ومن المؤلفات أيضاً كتاب (نثر اللآلئ) على ما ينسب إليه، وقد وجدت نسخاً منها، وهي رسالة مختصرة ألفها على ترتيب صروف المعجم، وجمع فيها كلمات الإمام علي بن أبي طالب ... ، على نهج كتاب (الغرر والدرر) للآمدي.

مشائخه وأساتذته الذين اخذ منهم العلم

يروي عن جماعة منهم:

١ـ الشيخ أبو علي ابن الشيخ الطوسي.

٢ـ الشيخ أبو الوفاء عبد الجبار بن علي المقري الرازي ابن الشيخ الطوسي.

٣ـ الشيخ الأجل الحسن بن الحسين بن الحسن بن بابويه القمي الرازي جد منتجب الدين صاحب الفهرست.

٤ـ الشيخ الإمام موفق الدين ابن الفتح الواعظ البكر آبادي عن أبي علي الطوسي.

٥ـ السيد أبو طالب محمد بن الحسين الحسيني القصبي الجرجاني.

٦ـ الشيخ الإمام السعيد الزاهد أبو الفتح عبد الله بن عبد الكريم بن هوازن القشيري، روى عنه صحيفة الرضا المعروفة.

٧ـ الشيخ أبو الحسن عبيد الله محمد بن الحسين البيهقي الذي قال في حقه صاحب رياض العلماء على ما حكي عنه: إنه عالم فاضل محدث من كبار علماء الإمامية، يروي عنه الشيخ أبو علي الطبرسي على ما يظهر من تفسيره سورة طه في مجمع البيان.

٨ـ الشيخ جعفر الدورستي الذي هو من تلامذة المفيد.

تلامذته الذين اخذوا عنه العلم

يروي عنه جماعة من أفاضل العلماء منهم ولده رضي الدين أبو نصر حسن بن الفضل صاحب كتاب (مكارم الأخلاق) المشهور، الذي طبع مراراً في مصر، ثم في ايران، وهو من تلامذته، وكذلك رشيد الدين أبو جعفر محمد بن علي بن شهر آشوب، وهذا ما قال في باب الكنى من كتابه معالم العلماء على ما حكي عنه: شيخي أبو علي الطبرسي. والشيخ منتجب الدين صاحب الفهرست وهو من تلامذته أيضا، قال في فهرسته شاهدته وقرأت تفقهاً عليه، والقطب الراوندي، والسيد فضل الله الراوندي صاحب كتاب (الخرائج والجرائح)، والسيد أبو الحمد مهدي ابن نزار الحسيني القايني، والسيد شرفشاه بن محمد بن زيادة الأفطسي، والشيخ عبد الله بن جعفر الدوريستي، وشاذان بن جبرائيل القمي وغيرهم، وعن صاحب اللؤلؤة انه عده من جملة مشائخ برهان الدين بن محمد بن علي القزويني الهمداني.

من كراماته

من عجيب أمر الشيخ الطبرسي، بل من غريب كراماته، ما اشتهر بين الخاص والعام، أنه قد أصابته السكتة، فظنوا به الوفاة، فغسّلوه وكفنوه ودفنوه ثم رجعوا، فلما أفاق وجد نفسه في القبر، ومسدوداً عليه سبيل الخروج عنه، من كل جهة، فنذر في تلك الحالة أنه إذا نجى من تلك المحنة، ألف كتاباً في (تفسير القرآن)، فاتفق أن بعض نباشي القبور قصده لأخذ كفنه، فلما كشف عن وجه القبر أخذ الشيخ بيده، فتحير النباش من دهشة ما رآه ثم تكلم معه، فأزداد به قلقاً، فقال له لا تخف أنا حي، وقد أصابتني السكتة، ففعلوا بي هذا، ولما لم يقدر على النهوض والمشي من غاية ضعفه حمله النباش على كتفه، وجاء به إلى بيته الشريف، فأعطاه الخلعة وأولاه مالاً جزيلاً، وتاب على يده النباش، ثم إنه بعد ذلك وفى بنذره الموصوف، وشرع في تأليف (مجمع البيان).

وقد تنسب هذه القضية إلى المولى فتح الله الكاشي المتقدم ذكره قريباً، ويقال إنه ألف بعد نجاته من تلك الواقعة تفسيره الكبير المسمى بـ(منهج الصادقين).

وعلى الأولى كان الشيخ الطوسي إذ ذاك في عمر الستين، فنجاه الله تعالى ببركة القرآن المبين وجعله يعيش بعد ذلك في الدنيا قريباً من ثلاثين سنة أخرى مصروفة في خدمة القرآن وإقامة لواء التفسير.

وفاته رضوان الله تعالى عليه

مات الطبرسي في مدينة سبزوار في المشهد المقدس الرضوي على ساكنه السلام بمدينة مشهد المقدسة، سنة ٥٤٨هـ، وكانت وفاته في ليلة النحر من السنة المذكورة، حيث نقل نعشه إلى المشهد المقدس، وقبره الآن أيضاً معروف بها في موضع يقال له: (قتلكاه) لما وقع فيه من القتل العام بإشارة عبد الله خان أفغان، في أواخر دولة الصفوية، وقيل إن الشيخ الطبرسي توفي سنة ٥٠٢هـ، وبلغ سنه ٩٠ سنة حسب بعض الروايات وقيل أيضاً ٨٢ سنة. ونقل أيضاً انه دفن في مغتسل الإمام علي بن موسى الرضا ... بطوس.

.....

المآخذ:
١: أعيان الشيعة العلامة السيد حسن الأمين.
٢: موسوعة الأعلام المؤرخ خير الدين الزركلي.
٣: روضات الجنات ج٥.
٤: دائرة المعارف الإسلامية الشيعية، العلامة حسن الأمين.

الصفح عن فطرس
كرامة لأبي عبد الله الحسين عليه السلام

محمد بن الحسن الصفار: عن أحمد بن موسى، عن محمد بن أحمد المعروف بغزال مولى حرب بن زياد البجلي، عن محمد أبي جعفر الحمامي الكوفي، عن الأزهر البطيخي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن الله عرض ولاية أمير المؤمنين عليه السلام فقبلها الملائكة وأباها ملك، يقال له: فطرس، فكسر الله جناحه.

فلما ولد الحسين بن علي عليهما السلام بعث الله جبرائيل في سبعين ألف ملك إلى محمد صلى الله عليه وآله يهنئهم بولادته، فمر بفطرس، فقال له فطرس: يا جبرائيل إلى أين تذهب؟

فقال: بعثني الله إلى محمد صلى الله عليه وآله وسلم أهنئهم بمولود ولد في هذه الليلة.

فقال له فطرس: احملني معك، وسل محمدا يدعو لي.

فقال له جبرائيل: اركب جناحي فركب جناحه فأتى محمدا صلى الله عليه وآله وسلم فدخل عليه وهنأه فقال له: يا رسول الله إن فطرس بيني وبينه إخوة وسألني أن أسألك أن تدعو الله له أن يرد عليه جناحه.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لفطرس أتفعل؟

قال: نعم، فعرض عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولاية أمير المؤمنين عليه السلام فقبلها.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: شأنك بالمهد فتمسح به وتمرغ فيه.

قال: فمشى فطرس إلى مهد الحسين بن علي عليهما السلام ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يدعو له.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: فنظرت إلى ريشه، وأنه ليطلع ويجري فيه الدم ويطول حتى لحق بجناحه الآخر وعرج مع جبرائيل إلى السماء وصار إلى موضعه.

شرح الصحيفة السجادية

الخلقة الثانية

الدعاء الأول

(الحمد لله الأول بلا أول كان قبله، والآخر بلا آخر يكون بعده،...)

(والآخر بلا آخر يكون بعده)

إن الله يبقى بعد فناء الأشياء، حيث ترجع الأكوان كأن لم تكن ـ على حالتها قبل الخلقة ـ وفي انعدام الأشياء رأساً أو بقاء بعض المواد والأرواح بعد الإفناء خلاف، كثير من النصوص يؤيد الأول.(١)

فالله سبحانه وتعالى الدائم الباقي بعد فناء كل شيء.

قال الله تعالى:

هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ

سئل الإمام الصادق عليه السلام عن الآية فقال:

«الأول لا عن أول قبله ولا عن بدء سبقه والآخر لا عن نهاية كما يعقل من صفات المخلوقين ولكن قديم أول آخر لم يزل ولا يزال بلا بدء ولا نهاية لا يقع عليه الحدوث ولا يحول من حال، خالق كل شيء..»(٣)

وقيل: الآخر الأول بكسر الخاء على وزن فاعل، وهو خلاف الأول؛ والآخر الثاني ـ على ما في النسخ المشهورة ـ بالكسر والتنوين على قياس الأول.

فمعنى أوّليته وآخريته ـ تعالى ـ، فقيل: الأزلية والأبدية، وعليه أكثر المحققين؛ وقد ثبت: (إنّ ما ثبت قدمه امتنع عدمه).

ويؤيده ما روى عن ابن عباس: (الأول قبل كل شيء بلا ابتداء، والآخر بعد فناء كل شيء بلا انتهاء، فهو الكائن لم يزل والباقي لا يزال).

وعن الضحاك: (و الذي أول الأوائل وآخر الأواخر).

وقال البلخي: (هو كقول القائل: فلان أول هذا الأمر وآخره وظاهره وباطنه، أي: عليه يدور الأمر وبه يتمّ الأمر).

وقيل: (هو مستمر الوجود في جميع الأزمنة الماضية والآتية).

وقيل: (إن الأول والآخر صفة للزمان بالذات، والحق ـ تعالى ـ منزّه عن الافتقار إلى الزمان، فإنه ـ تعلى ـ أقدم وأسبق.

والحق أن أوليته ـ تعالى ـ عين آخريته، وآخريته عين أوليته من غير اختلاف في ذاته وصفاته؛ بخلاف أوليتنا، لأن من كان منا أولا لا يكون آخرا، وكذا بالعكس.

بيان ذلك: إن الأولية والآخرية قد يكونان بمعنى كون الشيخ فاعلاً وغاية، وقد تقرر في موضعه إن ذاته ـ تعالى ـ غاية الغايات ونهاية الرغبات وليس لفعله ـ سبحانه ـ لمية غير ذاته، وأنه ـ تعالى ـ تام بذاته من جميع الجهات والحيثيات واحد لا كثرة فيه بوجه من الوجوه.(٤)

وقيل: في الأصل بالتنوين، بناء على ما هو المشهور من تخطي العامل، وعلى س مبناه على إلغائه وإعمال لا، وفي بعض نسخ س فتح الخاء بلا تنوين، ولا وجه ظاهر لمنع صرفه، لأنه تجرد عن الوصفية وصار بمعنى غير، إلا أن يعتبر الوصفية الأصلية، أوثق بدخول لاء النافية أولاً ثم دخول الجار بعدها، ومعنى الآخر الباقي بعد فناء الخلق، وروي أنه الذي ليس له نهاية، وفي صحيحة ابن أبي يعفو قال سألت أبا عبد الله عليه السلام، عن قول الله عز وجل، الأول والآخر، فقلت أما الأول فقد عرفناه، وأما الآخر فبيّن لنا تفسيره، فقال: إنه ليس شيء إلا يبيد أو يتغير أو يدخله التغير من لون إلى لون، ومن هيئة إلى هيئة، ومن صفة إلى صفة، ومن زيادة إلى نقصان، ومن نقصان إلى زيادة، إلا رب العالمين، فإنه لم يزل ولا يزال، بحالة واحدة، هو الأول قبل كل شيء، وهو الآخر على ما لم يزل، ولا تختلف عليه الصفات والأسماء كما تختلف على غيره، مثل الإنسان الذي يكون تراباً مرة، ومرة لحماً، ومرة رفتاً ورميماً، الحديث، وهو دال على معنى آخر للآخر.(٥)

.....

(١) شرح الصحيفة السجادية للسيد محمد الحسيني الشيرازي: ص١٥.

(٢) سورة الحديد، الآية: ٣.

(٣) بحوث في الصحيفة السجادية، الشيخ صالح الطائي: ص٧.

(٤) لوامع الأنوار العرشية في شرح الصحيفة السجادية للسيد محمد الحسيني الشيرازي: ص٢٣.

(٥) نور الأنوار في شرح الصحيفة السجادية للسيد نعمة الله الجزائري: ص٢٦ ـ ٢٧.

الطفل ومضايقة رفاقه

الطفل الذي يتعرض لمضايقة رفاقه

قد يدخل الطفل إلى المنزل عائداً من مدرسته صامتا.. حزينا.. كئيبا ونحاول البحث عن الأسباب خاصة إذا تكرر الموضوع أكثر من مرة. وقد يعترف الطفل أن طفلاً آخر ضربه.. أوقعه على الأرض قاصداً إيذاءه.

الطفل وخلافاته مع أترابه

وتقف الأسرة حائرة تجاه هذه المشكلة، وتطرح على نفسها سؤالاً هاماً جداً؟ ترى ما الأسلوب الذي يجب أن أربي عليه طفلي لواجه خلافاته مع أترابه دون أن يسبب لهم الأذى؟ وترغب بعض الأسر أن يكون التعامل بالمثل، أي أن يضرب طفلها من يضربه ويؤذي من يؤذيه.

والحقيقة أن الأطفال الذين يحترفون إيذاء الأطفال الآخرين، عادة ما يكونون ضحية لأخ أكبر، أو لراشد كبير يوجه لهم الإهانة باستمرار، فيبحث الطفل بدوره عن طفل آخر يفرغ فيه العدوان، وربما تكون الإساءة إليه أخذت صورة السخرية من أحد الأقارب، وبالمقابل يستخدم الطفل مبدأ السخرية مع أقرانه.

وتتساءل الأسرة عن مدى قدرتها على حماية طفلها الحساس من براثن الطفل العدواني، فطفل الخامسة يمكن إيقافه عن عدوانه على آخرين بمجرد مراقبة الكبار الحاسمة، له، وقد يرى البعض أن هذا الانضباط قد يكون مؤقتاً وسرعان ما يزول بزوال المراقبة، كما أن الطفل الأكبر من ذلك بالإمكان إخبار أسرته عن إزعاجه لأصدقائه، والطلب من المدرسة معاقبته على مضايقته للآخرين.

علينا أن نتجنب الغضب ولا نضرب طفل الجيران، وأن نتجنب إهانته، لأن هذا التصرف يزيد من عدوانه على الطفل الآخر، ومن المعروف أن الطفل البالغ الشراسة والقليل الأدب لا يتراجع إلا مؤقتاً، وعندما تحين الفرصة سعود لمضايقته للآخرين، وغالباً ما يكون أمثال هؤلاء الأطفال منحدرين من أسرة لا مبالية بحقوق الآخرين ومشاعرهم، مما ينعكس على تصرفات أطفالهم.

والأسرة الواعية تستطيع أن تجنب أطفالها الكثير من المتابع، وذلك بدءاً من السنوات الأولى التي تسبق المدرسة والتي يلعب فيها الطفل مع أبناء الجيران وأطفال الضيوف القادمين إلى المنزل، وذلك إشرافها عليهم ومراقبتهم لطريقة لعبهم، والأسلوب الذي يتعامل به الأطفال معاً، وإذا لوحظ أي اعتداء من طفل على آخر لابد من استخدام الود واللطف معه، وإذا امتد العداء ليشمل أكثر من طفل، وتكرر الأمر، عندئذ يجب أن يتدخل أحد أقطاب الأسرة ويمنع حصول الحرب بين الأطفال ويحلّ المشكلة، فالأسرة الواعية بدبلوماسيتها تستطيع أن تساعد طفلها الحساس المتردد أن يجد مكاناً وسط الجماعة، ومن الممكن أن نسجل الطفل في أحد النوادي

ليختلط بمجموعة من الأطفال جديدة منظمة خالية من الأطفال العدوانين.

أسباب تعرض الطفل لمضايقة أترابه

كثير من الأسر تبحث عن الأسباب التي تجعل طفلها فريسة سهلة لعدوان أطفال آخرين، والأسباب ليست جسدية، أي لا تتعلق بالقوة الجسدية فالقوة الجسدية ليست شرطاً أن تحمي من اعتداءات الآخرين، والضعيف جسدياً ليس شرطاً أن يكون معرضاً لاعتداءات الآخرين.

إلا أن الطفل السريع الغضب يكون من السهل استثارته وإخضاعه لعدوانية الآخرين، فيجد الأطفال لذة في مشاهدة انفجاره وإغاظته، وبشكل دائم يفتشون عن وسيلة لإغضابه، وقد يكون الطفل سريع الغضب لكنه لا يقوى على مهاجمة أحد مما يزيد من سخرية الآخرين تجاهه.

وفي هذه الحالة لابد أن نفتش عن سبب فشل علاقات طفل كهذا مع المجتمع؟ وهذا يتطلب عودة إلى السنوات الأولى من حياة الطفل، لأنها أساسية في تكوين طباعه ومزاجه، فالحماية الزائدة التي كانت ربما تقدمها له الأسرة ثبتت عنده شعوراً عميقاً بأن يفتقر إلى الأمن والسلام، وأن الآخرين أشرار سوف يسببون له الأذى.

أما الأسرة التي كانت لا تبالغ في حماية طفلها، فإنها بذلك عوّدته على الاعتماد على النفس والتعامل مع الآخرين دون خوف أو خجل، إن طفلاً خائفاً خجولاً من السهل إيذاؤه والعدوان عليه، فالأسرة الواعية تربي تربية سليمة منذ البداية لأن تصحيح الأخطاء التربوية من أصعب أنواع التصحيح.

مقترحات للحد من المشكلة

لا ننصح أن نعلّم الطفل رد العدوان بالعدوان، ولا مانع أن يحصل على حقه بنفسه، فالطفل القادر على التكيف الاجتماعي قادر على حل مشاكله بنفسه، لذلك على الأسرة ألا تعزل طفلها عن بقية الأطفال، وأن تعلمه الدفاع عن نفسه بهدوء، على أن يضبط أعصابه وانفعالاته، فرد العدوان بالعدوان لا يحل المشكلة، إنما كسب محبة الآخرين والتسامح معهم، وتفادي الأطفال الشرسين هو الحل الأمثل.

ونحن الكبار يحب ألا نتحول لصغار، ونفقد قدرتنا على التفكير، فنحن مفتاح تصرفاته ومرآة لها، علينا ألا نغضب بشدة تجاه طفلنا الباكي، وعلينا ألا نحاول الذهاب بأنفسنا لأخذ حقه، لأن ذلك علينا تعليم الطفل ضبط أعصابه واتقاء شر الأشرار من المجتمع.

ولا مانع إذا تفاقمت المشكلة بينه وبين طفل آخر بالمدرسة أن نرسل مع طفلنا هدية رمزية بسيطة تعيد الود بينهما، وترسم علاقات جديدة بين الطفلين، فالتسامح هو من شيم الأخلاق الحميدة.

علينا أن ندرك أن طفلنا سوف يخرج من هذا المجتمع لمجتمع أكبر، وسيواجه مشكلات أيضاً قد تكون أكبر من ذلك، لذلك يجب أن يعتاد حل مشكلاته بنفسه لينجح في تكوين علاقات اجتماعية سليمة.[1]

.....

(١) تربية الطفل.. مشكلات وحلول، الدكتورة سلوى مرتضى: ص٨١ - ٨٤.

الفارس المنقذ

تشرّف أحد العلماء مع طلبة الحوزة في النجف الأشرف بحضور دروس الأخلاق الخاصة عند المرجع الديني الورع سماحة آية الله العظمى المرحوم السيد عبد الأعلى السبزواري أعلى الله مقامه.

وذات مرة ذكر القصة التالية عن نفسه لما كان في الأربعين من عمره الشريف قائلاً:

لقد خرجنا مع قافلة الحاج السيد إسماعيل حبل المتين في حافلة قاصدين حج بيت الله الحرام، ولمّا دخلنا الأراضي الصحراوية للجزيرة العربية، ضلّ السائق طريق مكة المكرّمة، وأخذ يضرب يمنةً ويُسرة من دون جدوى، حتى نفد وقود محرّك السيارة (الماكنة).. فنزلنا منها بحال يُرثى لها، ألقينا النظر إلى ما حولنا فلم نجد سوى صحراء قاحلة، ولا أثر لذي حياة ولا دابّة ولا جادّة.

مضتْ ساعات ونفد الماء وانتهى الطعام أيضاً، وأخذ أملنا في النجاة يضعف تدريجياً ويخمد.. إنها كانت لحظات في منتهى الرعب وفي غاية من القساوة.. إذ كان شبح الموت يدنو إلينا بخطاه الموحشة.

بعض ممدّد، قد سلّم أمره إلى الله.. وبعض آخر منطو على نفسه يائس من الحياة وهو يفكر في أهله وماله الذي خلّفه في وطنه، وقام بعض منا يحفر قبراً لنفسه ليرقد فيه لدى اللحظة الأخيرة.

يقول السيد السبزواري رحمه الله: وأما أنا فأخذت في هذه الساعة أبحث عن نافذة للهروب منها إلى الحياة وانقاذ هؤلاء الأشخاص أيضاً، وليس هناك طريق سوى الهروب إلى واهب الحياة وخالقنا القوي المتعال.

وبينما كنت أتأمل في هذه الحال وإذا بي أتذكر القيامة بصلاة جعفر الطيار والتوسل بها إلى الله عزّ وجل.

والمعروف أن صلاة جعفر الطيار رغم أنها ركعتان، إلا أنها طويلة من حيث الأدعية الخاصة بها، ولكنها مؤكّدة الاستجابة إن اجتمعت معها بقية شروط الاستجابة.

ولمّا أصبحت على وشك الانتهاء منها، سمعتُ أحد يناديني: أسرعْ يا سيّد، تعال فإننا ننتظرك أنت فقط!

نظرت إلى الوراء، فرأيت أصحابي كلهم جالسين في السيارة، مستعدّين للحركة.

جئت، فوجدت كل شيء جاهزاً، وماكنة السيارة تشتغل!

قلت: ما الذي حدث؟

قالوا: إن فارساً جاء، فأطعمنا وأروانا، وأمر السائق بتشغيل السيارة، فاستغلتْ كما ترى، ثم أشار بيده إلى تلك الجهة، وقال: إنها طريق مكة المكرمة، ولما الرحيل قال نادوا السيد وبلّغوه سلامي!

وهكذا تحرّكنا على ذات الاتجاه المشارك إليه فوصلنا إلى مكة المكرمة سالمين، فسلام الله عليه وتحياته وصلواته روحي لتراب مقدمه الفدى.

إنه على ما يبدو كان سيّدي ومولاي الحجة بن الحسن المهدي عجل الله تعالى فرجه.

ذلك الفارس المنقذ، القائم من آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد أن ملئتْ ظلماً وجوراً، جعلنا الله وإيّاكم من أنصاره الأوفياء والمستشهدين بين يديه.[1]

.....

(١) قصص وخواطر للشيخ البحراني: ص١٤٩ - ١٥١.

الحلقة الأولى

الطاقة

الطاقة هي المقدرة على القيام بشغل (أي إحداث تغيير).

أما الطاقة ضمن الاستخدام الاجتماعي تطلق كلمة (طاقة) على كل ما يندرج ضمن مصادر الطاقة، إنتاج الطاقة، واستهلاكها وأيضا حفظ موارد الطاقة.

بما أن جميع الفعاليات الاقتصادية تتطلب مصدرا من مصادر الطاقة، فإن توافرها وأسعارها هي ضمن الاهتمامات الأساسية والمفتاحية.

في السنوات الأخيرة برز استهلاك الطاقة كأحد أهم العوامل المسببة للاحترار العالمي (global warming) مما جعلها تتحول إلى قضية أساسية في جميع دول العالم.

وهناك صور عديدة للطاقة، منها الحرارة والضوء (طاقة كهرومغناطيسية)، والطاقة الكهربائية.

ضمن سياق العلوم الطبيعية، الطاقة يمكن أن تاخذ أشكالا متنوعة: طاقة حرارية، كيميائية، كهربائية، إشعاعية، نووية، طاقة كهرومغناطيسية، وطاقة حركة.

هذه الأنواع من الطاقة يمكن تصنيفها بكونها طاقة حركية أو طاقة كامنة، في حين أن بعضها يمكن أن يكون مزيجا من الطاقتين الكامنة والحركية.

جميع أنواع الطاقة يمكن تحويلها (Transformation) من شكل لآخر بمساعدة أدوات بسيطة أو تقنيات معقدة: من الطاقة الكيميائية إلى الكهربائية عن طريق الأداة الشائعة البطاريات أو المركمات، ضمن سياقنظرية النسبية بدمج مجالي المادة والطاقة معا بحيث أصبح من الممكن أن تتحول الطاقة إلى مادة وبالعكس تحول المادة إلى طاقة: هذا الكشف الجديد عبر عنه أينشتاين بمعادلته الشهيرة ($E=mc^2$).

هذا التحول ترجم عمليا عن طريق الحصول على الطاقة بعمليات الانشطار النووي والاندماج النووي.

مصطلحات الطاقة وتحولاتها مفيدة جدا في شرح العمليات الطبيعية، فحتى الظواهر الطقسية مثل الريح، والمطر والبرق والأعاصير (tornado) تعتبر نتيجة لتحولات الطاقة التي تأتي من الشمس على الأرض.

الحياة نفسها تعتبر أحد نتائج تحولات الطاقة: فعن طريق التمثيل الضوئي يتم تحويل طاقة الشمس إلى طاقة كيميائية في النباتات، يتم لاحقا الاستفادة من هذه الطاقة الكيميائية المختزنة في عملية التمثيل الغذائي للكائنات الحية والإنسان، ومن النبات ينتج الخشب وهو مصدر آخر للطاقة يرجع أصلها إلى الشمس.

تحول الطاقة

يمكن تحويل الطاقة الكيميائية المختزنة في بطارية الجيب إلى ضوء، كما تتحول الطاقة الكيميائية المختزنة في بطارية الرصاص إلى طاقة كهربائية، أو تحويل طاقة أشعة الشمس إلى طاقة كهربائية عن طريق لوح ضوئي.

كمية الطاقة الموجودة في العالم ثابتة على الدوام، فالطاقة لا تفنى ولا تستحدث من العدم (قانون انحفاظ الطاقة)، وإنما تتحول من شكل إلى آخر.

وعندما يبدو أن الطاقة قد استنفذت، فإنها في حقيقة الأمر تكون قد تحولت إلى صورة أخرى، لهذا نجد أن الطاقة هي قدرة للقيام بالشغل تكون نتيجته مثلا طاقة حركية أو طاقة إشعاعية، فالطاقة التي يصاحبها حركة يطلق عليها طاقة حركة.

والطاقة التي لها صلة بالموضع (الجاذبية) يطلق عليها طاقة الوضع (جهدية)، فالبندول المتأرجح تختزن به طاقة وضع عند نقاطه النهائية، وعند كل نقطة نهائية لاهتزاز البندول تتحول طاقة الوضع إلى طاقة حركية لذلك يعود في اتجاه وضع التوازن ومنه إلى النقطة النهائية الثانية، وهكذا.[1]

أهم أشكال الطاقة

في حياتنا العادية، وكل يوم، نستعمل العديد من أشكال الطاقة: البترول، والغاز، والفحم، والكهرباء، وغيرها.

فالطاقة توجد في عدة أشكال كالطاقة الميكانيكية (حركية)، والطاقة الحرارية، والطاقة الكيميائية، والطاقة الكهربائية، والطاقة الإشعاعية.[2]

أثبت ألبرت أينشتاين تكافؤ المادة والطاقة في نظرية النسبية، أي يمكن تحول المادة إلى طاقة وهذا ما يحدث في الشمس (اندماج نووي)، كما يمكن أن تتحول الطاقة إلى مادة مثلما في إنتاج زوجي حيث يتحول شعاع جاما إلى إلكترون وبوزيترون.

وتعتبر الطاقة الحيوانية أول طاقة شغل استخدمها الإنسان في فجر الحضارة عندما استخدم الحيوانات الأليفة في أعماله ثم شرع واستغل قوة الرياح في تسيير قواربه لآفاق بعيدة، واستغل هذه الطاقة مع نمو حضارته، واستخدمها كطاقة ميكانيكية في إدارة طواحين الهواء وفي إدارة عجلات ماكينات الطحن ومناشير الخشب ومضخات رفع الماء من الآبار وغيرها، وهذا ما عرف بالطاقة الميكانيكية.

.....

(١) موقع ويكيبديا.

(٢) الاكتشافات والاختراعات: ص٣٤.

صدر حديثاً

عن قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة البحث الموسوم بـ(الأصول التمهيدية في المعارف المهدوية، الإمام المهدي عليه السلام من الغيبة حتى الظهور)، تأليف سماحة السيد محمد علي الحلو.